# القسم الثاني

## ﴿ في ما يعرض لاجزاء الجملة من التقديم والتأخير والحذف والذكر ﴾

## ﴿ والتعريف والتنكير والاتباع والفصل ﴾

كان كلامنا في ما مرَّ عن الجملة من حيث هي واقسامها واردنا بذلك توجيه خاطر المطالع الى ما بين اجزائها من العلاقات اللفظية والمعنوية علمًا منا ان ذلك لا يخلو من فائدة اقلها ترويض الذهن وغرضنا الان النظر فيما يعرض لاجزاء الجملة من التقديم والتاخير الى غير ذلك مما ذكر اعلاه ولسهولة البحث رأينا ان نقسم الجملة الى فعلية واسمية فنقول والله المستعان في تسديدنا الى الصواب

### ﴿ الجملة الفعليَّة ﴾

الجملة الفعلية ما تألفت من الفعل ومتعلقاته وهي الفاعل والمفعول به والمجرور والمصدر والزمان والمكان والسبب . واعمُّ هذه المتعلقات الفاعل فانه لا يستغنى عنه بوجهٍ من الوجوه لتعذر قيام الفعل بنفسه كما لا يخفى بخلاف غيره من بقية المتعلقات فانها كلها قد يستغنى عنها اما بحسب الصناعة اللفظية او بحسب المعنى كما اذا اردت الاخبار عن تعلق الفعل بالفاعل لاغير او طلبت حصوله او تركه من الفاعل المخاطب كقولك ذهب زيد . واذْهَبْ . ولا تَذْهَبْ . الى غير ذلك من الامثلة

# ترتيب الجملة الفعلية

## اولاً

### في ترتيب الفعل ومتعلقاته

لا بدَّ في الجملة الفعلية من ذكر الفعل قبل الفاعل مطلقاً واما ما سواه من بقية المتعلقات فالاصل فيها ان تتأخر عن الفعل الاَّ انها بحسب الصناعة اللفظية لا يتعين بينها وبين الفعل ترتيب مخصوص فلك ان تقدم ما شئت منها على الفعل او تؤخره على ما تراه مناسباً بشرط ان تحافظ على منع الالتباس وتجنب التعقيد. اما الالتباس فلا يسوغ بوجه من الوجوه لمخالفتهِ الغاية من وضع اللغة واما التعقيد والمراد به كل ما اوجب توقفاً في فهم المعنى المراد او اوجب للذهن تعباً يمكن تجنُّبه قلَّ او كثُرَ فلا تؤذن به البلاغة والطبع ايضاً يقضي بتجنبه ما امكن

وهذان الشرطان اعني منع الالتباس وتجنب التعقيد (او توخّي سهولة الفهم) لا يمكن حصرهما في ضوابط معينة انما يُرْجع في ذلك الى مقامات الكلام والى نظر الكاتب وخصوصيةً في فطرتهِ من جهة والى معرفة القواعد والتراكيب النحوية المتعارفة والمتَّفق عليها من جهة اخرى. وارى انَّ الاطالة فيما يوجبهما او ينفيهما ضرب من التكلف لا حاجة بنا اليهِ وخير من ذلك ان نذكر بعض الملاحظات في شأن ترتيب الفعل ومتعلقاتهِ لا تخلو من فائدةٍ وهي.

(١) قدّم الزمان وما يتعلَّق بهِ على الفعل في كل جملة يتبادر فيها

الذهن لداع من الدواعي الى تعيين الزمان كقولك مثلاً « يوم الاربعاء الواقع في ١٠ تموز الساعة ٨ ب ظ تحتفل المدرسة الكلية السورية الانجيلية احتفالها السنوي الخ » وسببه انه مع ذكر الفعل الذى يدعو مقتضى الحال الى تعيين زمانه كثيرًا ما يتبادر الى الذهن تعيين ذلك الزمان فان اصاب في التعيين وهو القليل النادر اقتضى ذلك احضار الزمان في الذهن مرتين مرة قبل ذكر الزمان في الجملة ومرة بعده وهذا اسراف . وان اخطأ كان في ذلك مشقة على العقل في اصلاح خطإه والرجوع الى الصواب وهو من الاسراف ايضاً بخلاف ما اذا ذكر الزمان اولاً فانه لا يكون من العقل على الغالب الا انه يتهيأ لانتظار الفعل حتى اذا ذكر ادركه من غير تكلف لاحضاره اكثر من مرةٍ او لاصلاح ما اورثه التسرُّع

( ٢ ) قدّم المستفهم عنه مطلقاً كقولك « ماذا فعلت » و « متى اتيت » وهو معلوم

( ٣ ) قدّم ما اردت تعيينه او قصرهُ او تخصيصه اذا كان مقتضي الحال يدعو الى الاختصار او يؤذن به فان مجرّد التقديم دليل على ما اردت عند البلغاء من غير استعانةٍ بلفظ موضوع له ( كالفظة لا غير او العطف بلا الخ ) ومثال ذلك قولك « ماءً شربت » تعني « شربت ماءً لا خمرًا » وقول القائل

بكم قريش كفينا كل معضلة وأمّ نهج الهدى من كان ضليلا

اي بكم لا بغيركم او دون من سواكم كما لا يخفى . حكي ان بعضهم شتم صاحبه شتمًا قبيحًا فاعرض المشتوم عن جوابه فقال الشاتم اياك اعني فاجاب المشتوم وعنك أُعرض . وكل ذلك مما تقضي به بديهة الطبع فضلاً عن حسن الذوق

( ٤ ) أخّر ذكر العلة او سبب الفعل عن الفعل لان العقل لا يسأل عن سبب الفعل الا بعد وقوعه ولذلك كان ذكر سبب الفعل قبله مما يتأذى منه العقل لما فيه من المخالفة لمقتضى الترتيب الطبيعي الا لغرضٍ كارادة القصر او التعيين على ما مرَّ وكأن يكون السبب واقعاً معلوماً من قبل والفعل ( او معناه ) المسبب عنه اشبه بالنتيجة له فيتقدم حينئذٍ ذكر السبب وعليه ورد في سفر التكوين « لانك سمعت لقول امراتك واكلت من الشجرة التي اوصيتك قائلاً لا تاكل منها ملعونة الارض بسببك بالتعب تاكل منها كل ايام حياتك » وكقول رئيس المحكمة مثلاً « بناءً على ثبوت الدعوى المقدمة من فلان على فلان بشهادة الشهود العدول نحكم على فلان بكذا الخ »

ومما يقرب من هذا قول بعضهم

لما رأيت مواردًا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تسعى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي اليَّ ولا من الباقين غابر
ايقنت اني لا محا لة حيث صار القوم صائر

فانه قدم على الفعل ( ايقنت ) ما اوجبه من الاسباب الواقعة المعلومة لترتب اليقين عليها بما يشبه ترتب النتيجة على المقدمات

وقريب من هذا الباب ما اذا كان الفعل واقعاً معلوماً عند المخاطب والعقل متوجهاً للسؤال عن سبب الفعل فانه في مثل هذه الحالة تقتضي البلاغة ذكر السبب اولاً لاسيما اذا كان للفعل تبعة يجبُ التنصل منها.

حكى عن بروتس احد عظماء الرومان وصديق قيصر الكبير انه بعد ان قتل قيصر قام فيهم خطيباً واليك مفاد بعض ما قالهُ ولا فرق هنا بالنسبة الى غرضنا بين ان تكون نسبة هذه العبارات اليه حقاً او ادعاءً قال « لان قيصر كان صديقي فانا ابكي عليه واندبهُ ولانه كان ذا حظوةٍ موفقاً فانا اهش لهذا واستعذبه ولانه كان بطلاً شجاعاً فانا اجله واحترمه لكن لانه كان يتشوَّف للملك واذلال الرومانيين قمت عليه وقتلتهُ » فانظر كيف قدم ذكر السبب في هذه الجمل الاربع اما في الثلاث الاول فلانَّ السبب واقع معلوم من قبل واما في الرابعة فلانَّ الفعل واقع معلوم دون السبب مع انصراف الخواطر الى معرفته وتوجه غاية المتكلم الى ان يتنصل من تبعة الفعل بذكر السبب الذي يقوم بهِ عذرهُ لدى السامعين

( ٥ ) قدّم ما اردت على الفعل محافظةً على الفاصلة في الكلام المسجوع ومحافظة على الوزن او القافية في الكلام المنظوم ( على شرط عدم الالتباس وعدم التعقيد ) كالآية « خذوه فغلّوه ثُمَّ الجحيمَ صلّوه ثُمَّ في سلسلةٍ ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه » وكقوله

ما بذلت ما يو يجودُ يدٌ ولا تهدّى لما يقول فم

وكقولهِ ايضاً وما كل بمعذور بجهل ولا كلٌّ على بخل يلام

وكقولهِ ايضاً وجدتموهم نياماً في دمائكم كانَّ قتلاكم ايام فجعوا

وكقول الآخر عن المرء لا تسأل وسل عن قرينهِ فكلُّ قرينٍ بالمقارن يقتدي

وهذا كثير شائع

( ٦ ) توخَّ المطابقة بين الجمل المتعاطفة فقدم في المعطوف ما هو

مقدم في المعطوف عليه واخر هنا ما هو مؤخر هناك كقولك « انه كان لا يؤمن بيوم الحشر العظيم ولا يحض على طعام البائس المسكين » فاذا قلت مثلاً انهُ كان بيوم الحشر العظيم لا يؤمن فقل وعلى طعام البائس المسكين لا يحض وقد تكون المطابقة بين طرفي كلام واحدٍ كقول الخوارزمي « ولكن الكبير من الكبير يصغرُ كما ان الصغير من الصغير يكبر » فاذا قلت ولكنَّ الكبيرَ يصغر من الكبير فقل كما ان الصغير يكبر من الصغير . واعلم ان متعلقات معنى الفعل كالصفة والمصدر يجري عليها مع الصفة والمصدر ما يجري على متعلقات الفعل معه مما مرَّ بك واللبيب اذا احسن اعتبارهُ فيما ذكرناهُ كفاهُ ذلك عن مزيد التطويل وكثرة الامثلة

## ﴿ ثانياً ﴾

### ﴿ في ترتيب متعلقات الفعل فيما بينها ﴾

ليس بين متعلقات الفعل ترتيب مخصوص يقتضي متابعته فلك ان تقدم ما شئت او تؤخر ما شئت المفعول به على الفاعل نحو اذا زان جسمك عقلك فانت الرابح وبالعكس نحو اذا زان عقلك جسمك الخ . والمجرور على الفاعل او المفعول به وبالعكس نحو :

اني وان قصرت عن همتي جدتي  وكان مالي لا يقوى على خلقي
لتارك كل امر كان يلزمني  عاراً ويشرعني في المنهل الرنق

وكقول الآخر

يعاتبني في الدين قومي وانما  ديوني في اشياء تكسبهم حمدا

والظرف على احد هذه و بالعكس على ما تراه مناسباً نحو

وكلُّ شديدةٍ نزلت بقوم  سيأتي بعد شدَّتها رخاء

وكقول الآخر

ومتى نخف يوماً فساد عشيرة  نصلح وان نرَ صالحاً لا نفسد

الاَّ انَّ المناسبة ينظر معها الى الاغراض الآتية وهي

( ١ ) مراعاة المطابقة او المقابلة بين الجمل المتعاطفة او بين طرَفي كلام واحدٍ وهو كثير في كتابات المترسلين نحو « واستقرَّت امور سجستان على خلف بن احمد فطالت عليها ايامهُ وطارت فيها اوامرُهُ واحكامهُ وانبسطت بالعزّ يدُهُ و باعهُ وتموَّجت بذخائر الاموال رباعهُ وقلاعهُ » وكقولك « عاشروا في صغركم من تحترمون وفي كهولتكم من تحبون » ونحو « لو خاف ابن آدم ربهُ في الباطن كما يخاف خلقهُ في الظاهر لسعد في الدارين جميعاً » وكقولهم « اذا جلست صغيراً حيث تحب جلست كبيراً حيث لا تحب » فاذا قلت مثلاً فطالت ايامه عليها فقل وطارت اوامره واحكامه فيها وكذلك اذا قلت لو خاف ابن آدم في الباطن ربه فقل كما يخاف في الظاهر عبده وهكذا

( ٢ ) المحافظة على الفاصلة او على القافية او على الوزن والقافية وهو كثير شائع

( ٣ ) المحافظة على حسن الرصف ونريد بحسن الرصف مراعاة الموافقات الموسيقية بين الالفاظ بحيث تجيء مؤتلفة منسجمة لاقلقلة بينها ولا وقفة تحسُّ عند التلفظ بها وهذا مما يدركه السامع بسمعه والمتكلم

بلفظهِ · واعلم انه قد يتفق حسن الرصف مع المحافظة على الفاصلة في الكلام المسجوع تارةً كالاية نحو «خذوهُ فغلوهُ ثمَّ الجحيم صلوهُ ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا فاسلكوه »ومع المطابقة او المقابلة اخرى نحو « عاشر من الناس الصالحين وتجنب منهم المداهنين » ونحو اذا جلست صغيرًا حيث تحب جلست كبيرًا حيث لا تحب وقد يكون احيانًا امرًا اخر دونها « نحو على حسب نياتكم ترزقون »او زائدًا عليها نحو «الحمد لله الذي جعل لنا نبأ المتقدمين عبرةً وذكرى ودلنا بزوالهم على انه الباقي الذي سيعيدهم تارةً اخرى » ( مقدمة تاريخ اشور و بابل) فان وضع لفظة ( لنا ) بعد ( جعل ) لا بعد ( عبرة ) مع انها من صلتها وتاخير ( بزوالهم ) عن الفعل ( دلنا ) جميع ذلك امر زائد على المحافظة على الفاصلة الا انه داخل تحت حسن الرصف كما لا يخفى على المتامل · وحسن الرصف هذا يمكن اعتباره في تقديم معمولات الفعل عليه او تاخيرها عنه فقدم او أخر على مقتضاهُ بشرط ان لا يكون هنالك داع اخر اهم منه يدعو الى التقديم او التأخير

فاذا راعيت هذه الاغراض فقدم ما شئت واخر ما شئت على شرط ان لا يقع التباس في الجملة ولا تعقيد · اما الالتباس فلا يسوغ بوجه من الوجوه ولذلك لا يصح في جملة ( لو اشتريت لك بدراهم لحمًا تاكلينه ) تاخير المجرور الاول وتقديم الثاني عليه ولا في جملة (وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى ) ان تؤخر المجرور اصلاً لان التأخير يؤدي في الحالين الى الالتباس

واما التعقيد فان بلغ الى حدٍ يقضي بالتروي واطالة الفكرة قبل فهم المعنى المراد كقول المتنبي

قيل انت انت وانت منهم  وجدك بشرٌ الملك الهمامُ

وما على شاكلته فممنوع ايضاً والبلغاء لا يعدونه من قبيل الكلام العربي بل هو عندهم اشبه بالفارسية والرومية منه بالعربية . وان بلغ كما دون ذلك فمكروهٌ عندهم لا يرتكب الا لضرورةٍ من اقامة وزن او محافظة على قافية او لرغبة احياناً في الايجاز . وان كان على اقلّ درجاته كقوله « كسا حلمه ذا الحلم اثواب سودد » فتسامح فيه اذا صحبه غرض من الاغراض المارة والا فلا . ونعود هنا فنقول ان موجب التعقيد اللفظي في الغالب انما هو مخالفة التراكيب النحوية المشهورة والعدول الى المذاهب الضعيفة او الشاذّة فاعلم ذلك

## ﴿ ثالثاً ﴾

## ﴿ في ترتيب توابع متعلقات الفعل ﴾

قد عرفت ما هو المراد بمتعلقات الفعل بقي ان تعرف ما المراد من توابعها وما هو الترتيب بينها . اما توابعها فيراد بها الاستثناء والحال والتمييز والنعت والتوكيد والبدل والعطف عطف البيان وعطف النسق . واما الترتيب الغالب بينها فان يتقدم النعت على جميع ما سواه ثم التوكيد ثم يتقدم البدل او عطف البيان على ما بقي والحال والتمييز على المعطوف وهذا على المستثنى الا انه اذا كان هنالك عدّة نعوت لمتعلق واحد فقدم اهمها واذا استوت في الاهمية فقدم اخصرها او اقلها الفاظاً على ان المرجع المعول عليه بعد الشرطين الاصليين اعني منع الالتباس وتجنب التعقيد انما هو

مراعاة حسن الرصف فقدم واخرّ وفقاً لمقتضاه

ولنضرب لك مثلاً هذه الجملة « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله » فانها اشتملت على ثلاثة نعوت فقدم اهمها واخصرها وهو ( مؤمن ) وتاخر النعت الجملة ( يكتم ايمانه ) منعاً للالتباس ومراعاة لحسن الرصف معاً ولزيادة الايضاح نذكر لك صور التراكيب الممكنة فيها

( ١ ) وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون الخ

( ٢ ) وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون

( ٣ ) وقال رجل من آل فرعون مؤمن يكتم ايمانه

( ٤ ) وقال رجل من آل فرعون يكتم ايمانه مؤمن

( ٥ ) وقال رجل يكتم ايمانه من آل فرعون مؤمن

( ٦ ) وقال رجل يكتم ايمانه مؤمن من آل فرعون

فمن هذه الصور الست الثانية والخامسة ممنوعتان لوقوع الالتباس فيهما والثالثة والرابعة والسادسة جائزات بحسب اللغة الاّ انّ البلاغة تنكرهن لتقدم غير الاهم فيهنّ على الاهم ولمخالفتهنّ حسن الرصف بخلاف الجملة الاولى فانها جامعة لجميع شروط البلاغة فتوخَّ فيما تكتب سائر الاعتبارات المعتبرة فيها ان قدرت

واما المعطوفات فيستحسن بالمقيد منها بنعت او بمتعلق آخر من تمام معناه ان يتأخر عن المطلق او ما هو اقل تقيداً منه كقول الشاعر

اذا نازع القوم الاحاديث لم يكن عيياً ولا رباً على من يقاعدُ

وكقولك « تدخل الآفات على ارباب القلوب والاخذين من اليقين واليقظة والحال بسهم » فانه يمكنك ان تقول تدخل الافات على الاخذين من اليقين واليقظة والحال بسهم وارباب القلوب الاّ ان الترتيب الاول اوقع في النفس واقرب للفهم لاسيما اذا لم يعدّ حرف الجرّ مع المعطوف كما لا يخفى على ان هذا الاستحسان غير ملتزم به ويمكن للكاتب الخروج عنه لاعتبارات معنوية لا تخفى على حسن ذوقه كتقديم الاهم على غيره والسابق على اللاحق ولمراعاة الترتيب المقرّر في الذهن اما بحسب مطابقته للواقع او منظوراً معه للترقي من الادنى الى الاعلى او من الاقل الى الاكثر او لاعتبارات لفظية كمراعاة حسن الرصف في النثر والمحافظة على الوزن والقافية في الشعر وهو مما لا يخفى على انه اذا تعارض اعتباران احدهما معنوي والآخر لفظي فالمرجح مراعاة المعنوي منهما في اكثر الاحيان والحكم المتبع في مثل هذه الحال انما هو حسن الذوق فعليك به . واعلم ان مراعاة هذه الاعتبارات المعنوية واللفظية لا تختص بمتعلقات الفعل ولا بتوابع متعلقاته انما هي عامة فيها وفي غيرها من متعلقات الجملة الاسمية وتوابع متعلقاتها فقس على ما مرّ بك اشباهه ونظائره فانها لا تخفى على المتدبر

## ﴿ مطلوب ﴾

انتقد الامثلة الآتية وبين الجائز من التراتيب غير الترتيب المذكور فيها واذكر الانسب منها وسبب الانسبية

(١) وجاء رجل الى ابراهيم بن ادهم بعشرة الآف درهم فابى عليه ان يقبلها فالح عليهِ الرجل فقال له ابراهيم أتريد ان امحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة الآف درهم لا افعل ذلك ابداً

(٢) واستقرت امور سجستان على خلف بن احمد فطالت عليها ايامه وطارت فيها اوامرهُ واحكامه وانبسطت بالعزّ يدهُ وباعهُ وتموجت بذخائر الاموال رباعهُ وقلاعهُ وانقطعت عن بخارى مواد خدمته وانضاف الى ذلك استهانتهُ بالاوامر الصادرة اليه في حثه على رشده ودعائه الى ما يجمع صلاح يومهِ وغده

(٣) لما بويع الصديق رضي الله عنه بالخلافة اصبح اخذ الاثواب تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادي حتى كرهه المسلمون وقالوا كيف ذلك وقد اقمت لخلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان اضيعهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا لهُ قوت اهل بيتٍ من المسلمين فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين اولى

(٤) يظهر تاثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعلمه الى مقاصدهِ . وسعي العبد باختياره اما ان يكون لاجل جلب نافع هو مفقود عندهُ كالكسب او لحفظ نافع هو موجود عندهُ كالادخار او لدفع ضارٍّ لم ينزل به كدفع الصائل والسباع اولازالة ضارٍّ قد نزل به كالتداوي من المرض

## ﴿ في حذف بعض متعلقات الفعل ﴾

### ﴿ حذف الفاعل ﴾

اعلم ان النحاة يجيزون حذف سائر متعلقات الفعل ما عدا الفاعل فاذا لم يكن اسماً ظاهراً كان عندهم ضميراً بارزاً او مستتراً . والذي يؤخذ من تمثيل البيانين نحو «واستوت على الجودي حتى توارت بالحجاب» انهم يحذفونه ايضاً وهو الحق لكن لا بد عند الحذف من دليل عليه وعلى المحذوف وغرض يتعلق بالحذف شان سائر المحذوفات . ولنذكر لك الان دليل الحذف اللفظي فمن ذلك

(١) علامة التانيث كقوله

اما ويُّ لا يغني الثراء عن الفتى  اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

اي النفس فان التاء تدل على ان الفاعل مؤنث واختصاص الحشرجة بعين ما هو ومثله قول الآخر

زارت عليها للظلام رواق  ومن النجوم قلائد ونطاق

اي الحبيبة فان تاء التانيث وكون المقام مقام نسيب احدهما يدل على المحذوف والاخر يعين ما هو فان قلت لِمَ لا تجعل الضمير المستتر فاعلا قلت جعله فاعلاً انما هو من اقامة دليل الشيء مقامه وهذا لا يمنع من كون الفاعل وهو ما يرجع اليه هذا الضمير على مقتضى حكمه محذوفاً كما لا تخفى

(٢) ضمير الغائب البارز المرفوع . كقوله

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول  متيم اثرها لم يفد مكبول
وما سعادُ غداة البين اذ رحلوا  الاّ اغن غضيض الطرف مكحول

فان فاعل رحلوا محذوف لتقديره «اهلها» او عشيرتها» دل عليه الضمير البارز وعينه قرينة الحال

(٣) بناء الفعل للمجهول وهو دلالة وضعية على حذف الفاعل والمهم في هذا الموقف ان ننظر الى اغراض الحذف ثم نردف ذلك ببيان ما بين المجهول والمطاوع من الفرق في الاعتبار والله الموفق الى الصواب

## ﴿ اغراض الحذف ﴾

(١) عدم العلم بالفاعل الحقيقي كما في نحو قولك وافتُتحت الاستانة سنة ١٤٥٣ : هذا اذا كنت لا تعرف اسم السلطان الفاتح وكقولك سُرق بيتُ زيد

(٢) ارادة الاختصار . ولا يجوز لك ذلك الا اذا كان الفاعل مشهوراً نحو «خلق الانسان ضعيفاً» او متعيناً نحو «واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها» او اذا كان متوجه كلامك والمقصود منه لا يهم فيه معرفة الفاعل كقوله

ان كوتبوا او لقوا او حوربوا وجدوا  في الخط واللفظ والهيجاء فرسانا

وكقولك مثلاً في عرض الكلام عن مدينة بابل «ولم يات عليها القرن الخامس الاّ كانت قد هدمت اسوارها ودرست معالمها وعفيت قصورها وهيا كلها»

(٣) محافظة على وزنٍ او قافية او مراعاة لفاصلةٍ فضلاً عن ارادة الاختصار ولا بد هنا ايضاً من كون الفاعل مشهوراً او متعيناً على ما مرَّ بك مثال ذلك قوله

خلقوا وما خلقوا لمكرمة فكأنهم خلقوا وما خلقوا
رزقوا وما رزقوا سماح يد فكأنهم رزقوا وما رزقوا

وكقول الآخر

ما المال والاهلون الاَّ معارة ولا بد يوماً ان تردَّ الودائع

وكقولهم من طاب سريرته · حمدت سيرته

فان المحافظة على الوزن والقافية والفاصلة واضحة في الامثلة كما لا يخفى

(٤) اتباعاً الاستعمال كقولهم توفي فلان وجُنَّ وخولط في عقله ورُنِّح عليه واغشي عليه وَاُمْتُقِعَ لونه واُبْتُقِعَ واُنْتُقِع واُسْتُفْقِعَ واُسْتُهْتِر الرجل بكذا وامثال هذه المحفوظات · وقد يحذف الفاعل لاغراضٍ اخرى نحوفك من الفاعل او محافظة على شرف المفعول به اذا كان في ذكر الفاعل ما يغضُّ من كرامتهِ مما لا تخفى على المتفطن لها · وجميع هذه الاغراض قد ذكرها النحاة في مطوّلاتهم فاحتفظ بها حيثما وجدتها

## ﴿ الفرق بين المجهول والمطاوع ﴾

واما الفرق بين المجهول والمطاوع كقولك مُحي الشيء وامَّحى ودُرس الرسم واندرس وكُسر الزجاج وانكسر فهو ان المجهول يعتبر فيه التفات الذهن الى الفاعل المحذوف لغرض من الاغراض المارَّة · واما المطاوع

فيعتبر فيه حصول الاثر في المفعول (اي الفاعل اللفظي) من غير التفات الى الفاعل السببي ولزيادة الايضاح نقول لك ان الفاعل قد يكون مباشراً وقد يكون سبباً وزيد بالفاعل المباشر ما كان كزيد في قولك ضرب زيد عمرًا وكسر الزجاج واكل وشرب ونظر وسمع الخ وزيد بالفاعل السببي ما كان سبباً لحصول الفعل كالهواء والماء والصاعقة او غير هذه من الفواعل الطبيعية والكيماوية التي لا يظهر لفعلها اثر ظاهر محسوس الا مع تراخي المدة . والغالب في الفاعل السببي ان يقطع عنه النظر فيسند مفعوله الى المطاوع بصورة الفعل والفاعل كقولك امحى الرسم واندرس وتعفى وهلم جرًّا . واذ علمت هذا قلنا ان المجهول ابدًا يلتفت معه الذهن الى الفاعل المباشر فيلحظ وجوده انما يحذف لغرض من الاغراض التي مرَّت بك واما المطاوع فينظر معه الى حصول الاثر في المفعول مع صرف النظر عن الفاعل السببي . وعليه فاذا قلنا مثلاً « اما البابليون فمحيت اثارهم ودرست معالمهم » كان الفاعل المباشر ملحوظًا عند العقل وانما حذف لغرض كارادة الاختصار او عدم معرفة الفاعل على التعيين فاذا قلنا اما البابليون فامحت اثارهم واندرست معالمهم كان النظر مصروفًا الى حصول الاثر من الامحاء والاندراس فقط واذا امتشرف العقل الى معرفة الفاعل قدَّره من قبيل السببي بحسب دلالة القرائن عليه . وانت اذا تتبعت افعال اللغة وجدت ان الذي يسند منها الى الفاعل المباشر فقط كالضرب والقتل والاكل والشرب والاخذ والاعطاء والنظر والسمع والشم والذوق واللمس والكتابة والرمي والفهم والتامل واشباهها لا مطاوع لها بخلاف غيرها كالقطع والمد

والكسر والمحو والدروس فانَّ مطاوعاتها مشهورة متعارفة . وبعبارةٍ اخرى نقول انَّ الفعل الذي لا يسند الاَّ الى الفاعل المباشر مع عدم امكان اعتبار المباشر سبباً لحصول الفعل لا ترى له مطاوعاً اصلاً في المنقول الينا من الافعال واذا تكلفت له مطاوعاً رأيت الذوق ينبو عن استعماله بخلاف ما يسند الى المباشر تارة و يسند الى السببي او يمكن اسناده اليه اخرى فانك اما ان ترى له مطاوعاً في المنقول الينا عن اهل اللغة او ترى ان الذوق لا ينبو عن استعمال المطاوع له اذا دعت الحاجة الى استعماله على ان الفعل الذي يسند الى المباشر تارة والى السببي اخرى انما ترى له مطاوعاً باعتبار اسناده الى السببي و يتعاصى عليك المطاوع باعتبار اسناده الى المباشر مثاله ضرب زيدٌ عمرًا فانه يتعاصى عليك المطاوع لهذا الفعل بهذا الاعتبار (اعني اسناده الى الفاعل المباشر) بخلاف ما اذا قلت « ضربتْ الريح الستر والامواج السفينة » فان مطاوعه بهذا الاعتبار مشهور متعارف لانك تقول اضطرب الستر واضطربت السفينة واليك مثالاً اخر « داس الزرع يدوسه ودرسه يدرسه » فانه لا مطاوع لهذين الفعلين بهذين الاعتبارين كما لا يخفى ثم لما كان الفعل ( داس ) لا يسند الى السببي اصلاً لم يكن له مطاوع اصلاً ولما كان درَس يسند اليه كقولك « درستْ الريح الرسم » كان له بهذا الاعتبار مطاوع وهو منقول متعارف فانه لا اشهر من القول باندراس الرسوم كما تعلمه بل قد يعتبر في فاعل درس المباشر معنى السببية ايضاً فلا يأبى الذوق حينئذ استعمال مطاوعه من هذه الحيثية كاندرس الزرع

وخلاصة القول ان المجهول ينبغي ان يلتفت معه الى الفاعل المباشر باعتبار انه مقصود للمتكلم وانما عدل عن ذكره للغرض واما المطاوع فلا يلتفت معه الاّ الى حصول الاثر فقط وان كان قد يمكن فهم الفاعل السببي منه وتعيين نوعه احياناً لدلالة قرائن الاحوال عليه . فهذا هو الفرق بين المجهول والمطاوع فاعلمه . واعلم اننا قد اطلنا الكلام في هذا الصدد لما فيه من تنبيه الخاطر وحمل الذهن على التأمل والاعتبار في مدلولات الافعال والفرق بينها وهو من غايات علم المعاني على ما نظن والله اعلم

## ﴿ تنبيه ﴾

اعلم ان الفاعل السببي اذا تعورف استعماله مسنداً اليه فعل بخصوصه كدرست الريح الرسم وعفته اصبح كالفاعل المباشر في ان الذهن يلتفت اليه عند بناء فعله للمجهول ويقدّره على مثل ما يقدر الفاعل المباشر . وعندي ايضاً ان كل فعلٍ لمفعوله قابلية التاثر به وفقاً لطبيعته وخصوصيةٍ في فطرته او تركيبهِ يجوز فيه استعمال مطاوعه قياساً سواءٌ نقل الينا المطاوع في كتب اللغة ام لم ينقل وسواء كان الفعل مستعملاً في الحقيقة ام على سبيل المجاز كمدّ الحديد ومطله وطرقه وطرّقه ورقّقه وكرقّيتُ زيداً ورفعته ورعله وخوّفته وكخفضت الشيء وحطاته ودققته ومحوته واخفيته وفضضته ورضضته وفصلته وفصّلته وفصيّته وقدتُ الدابة وجررتها وهلمّ جرًّا

## ﴿ في حذف المفعول به ﴾

اذا أُسند الفعل المتعدّي الى الفاعل فان كان الغرض اثباته لفاعله او نفيهُ عنه مطلقاً (اي من غير اعتبار عموم في الفعل بأن يراد جميع افراده او خصوص بأن يراد بعضها . ومن غير اعتبار تعلُّقه بمن وقع عليه فضلاً عن عمومه او خصوصه ) نُزِّل الفعل المتعدي حينئذٍ منزلة اللازم ولم يقدَّر لهُ مفعول لان المقدَّر بواسطة دلالة القرينة كالمذكور نحو قوله « والله يعلم وانتم لا تعلمون » اي توجد لهُ حقيقة العلم ولا توجد لكم . وكقولك « جارُك نظيرك فان لهُ اذناً يسمع بها كما تسمع وعيناً يبصر بها كما انت تبصر ويداً يلمس بها كما تلمس الخ » وقد ينزَّل المتعدّي مطلقاً منزلة اللازم ثم يجعل كناية عن الفعل متعلقاً بمفعول مخصوص كقول البحتري

شجو حساده وغيظ عداه ان يرى مبصرٌ ويسمع واعِ

اي ان يكون ذو رؤية وذو سمع وكنى بذلك عن انه اذا وجد البصر لمبصر والسمع لسامع ابصر محاسن هذا الممدوح وآثاره وسمع بذكر اخباره ومناقبه ادعاء بالملازمة بين مطلق الرؤية ورؤية آثاره ومحاسنه وكذا بين مطلق السماع وسماع اخباره دلالة على ان آثاره واخباره بلغت من الكثرة والاشتهار الى حيث يمتنع خفاؤها فيبصرها كل راءٍ ويسمعها كل واعٍ

واما اذا اسند الى الفاعل باعتبار تعلقه بالمفعول فلا بد حينئذ من ذكر المفعول فاذا حذف لفظاً كان حكمه حكم المذكور لانه مقدر معنىً على ان حذفه لا يكون الاَّ لغرض . ومع وجود قرينة تدل على المحذوف

ايضاً فاذا وجدت القرينة ولم يوجد الغرض لحذفه او وجد الغرض ولم توجد القرينة ففي كلتا الحالتين لا يصح الحذف . واما اغراض الحذف فنذكر لك منها ما هو اكثر شيوعاً واعم وقوعاً فمنها

(١) الايضاح بعد الابهام كما في فعل المشيئة والارادة ونحوهما اذا وقع شرطاً نحو «من شاء فليؤمن ومن شاء كفر» اي من شاء الايمان ومن شاء الكفر فانك لما قلت من شاء ابهمت المفعول الذي يتعلق به فعل المشيئة فتهيأت النفس لطلبه ما هو فلما ذكرت الجواب اوضحت ما كنت ابهمته قبلاً وادركته النفس بعد الطلب فسرها ذلك وفيه فضلاً عن ذلك ما فيه من الاختصار

واعلم ان مفعول فعل المشيئة هذا يقدَّر بحسب دلالة الجواب عليهِ مطلقاً مع المطلق ومقيداً مع المقيد . وبعبارة اخرى انك اذا اردتهُ مطلقاً تركت الجواب من غير تقييد كقولك « لو شئتُ لقلت ولو اردت لذهبت » اي لوشئت ان اقول لقلت ولو اردت ان اذهب لذهبت واذا اردتهُ مقيداً قيدت الجواب وفقاً لما تريدهُ كقولك « لو شاء الله لهدى زيداً الى الايمان » فان التقدير لو شاء الله ان يهدي زيداً الى الايمان لهداهُ اليهِ . واذا علمت هذا قلنا لاحاجة لما استثناه البيانيون في هذا الموقف (اعني الايضاح بعد الابهام) من ان مفعول فعل المشيئة يجب ذكرهُ معهُ اذا كان تعلقه (اي فعل المشيئة) بهِ (اي بالمفعول) غريباً كقول الخريمي يرثي ابنه

ولو شئتُ ان ابكي دمًا لبكيتهُ عليهِ ولكن ساحة الصبر اوسع
واعددتهُ ذخرًا لكل ملمة وسهم المنايا بالذخائر مولع

فان تعلق فعل المشيئة ببكاء الدم فعل غريب فلا بُدَّ من ذكر المفعول ليتقرَّر في نفس السامع و يأنس به. واما قولهُ

ولم يبق مني الشوق غير تفكري  فلو شئت ان ابكي بكيت تفكرًا

فليس منه اي مما ترك فيه حذف مفعول المشيئة بناءً على غرابة تعلقها بهِ (انتهى عن المطول شرح التخليص للعلامة التفتازاني طبع الاستانه وجه ١٩٣ و ١٩٤) لان البيت الاول ليس من قبيل الايضاح بعد الابهام فان المقام مقام تفجع لامجال فيه للابهام ولا تؤذن به الحاسيات انما هو من قبيل ايقاع الفعل صراحة على نفس مفعوله كما لا يخفى على المتامِّل ولو انهُ من قبيل الايضاح بعد الابهام فما المانع من ان يقول «ولو شئت لبكيت دمًا عليهِ ولكن ساحة الصبر اوسع» أليس انهُ كان يُقدَّر المفعول «ولو شئت ان ابكي دمًا الخ» وفقًا لدلالة الجواب وكذلك البيت الثاني فانهُ والبيت الاول من بابٍ واحدٍ في انهما ليسا للايضاح بعد الابهام بل لايقاع الفعل على نفس مفعولهِ صراحةً كما مرَّ. والفرق بينهما في ان المراد بالبيت الاوَّل ولو شئت ان ابكي دمًا لبكيتهُ عليهِ على ارادة تقييد البكاء بمفعوله اعني لفظة (دمًا) بخلاف البيت الثاني فان الشاعر لم يرد ان يقول ولو شئت ان ابكي تفكرًا لبكيتهُ بجعل (تفكرًا) قيدًا لأبكي بل قصد الى ان يقول ولو شئت ان ابكي ما بكيت الاَّ التفكر لعدم بقاء غيرهِ من الدمع او الدم وهذا مما يدلُّ عليه صدر البيت فانه قال فيهِ ولم يبق مني الشوق غير تفكري ففهم منه نفاد دمعه ودمهِ ثمَّ ابرز التفكر بصورة المحسوس وادَّعى انه مما يبكى كالدمع او الدم وانه لو اراد البكاء ما بكى شيئًا غيرهُ لنفاد مادة الدمع والدم وبقاء التفكر

والحق انه لا يلزم من وقوع فعل المشيئة شرطاً ان يقصد معه دائماً الايضاح بعد الابهام حتى يلزم حذف مفعوله فيقتضي الحال الى تكلف الاستثناء الذي استثناه العلامة التفتازاني في بيت الخريمي وفاقاً لما تكلفه صاحب التلخيص بل قد يقصد ذلك احياناً نحو « فلو شاء لهداكم اجمعين » وقد لا يقصد على ما هو بيت الخريمي و بيت ابي الحسن علي بن احمد الجوهري المتقدم ذكرهما والله اعلم

( ٢ ) ارادة الاختصار نحو « والله يمحو ما يشاء ويثبت » ونحو « ويغفر لمن يشاء » وكقولك « رعت الماشية » اي يمحو ما يشاء ويثبت ما ينشاء ويغفر الذنوب ورعت عشباً

( ٣ ) التعميم مع الاختصار نحو « انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به » اي ولا اشرك به احداً او شيئاً من المعبودات على انواعها وقولهم فلانٌ لايبدي ولا يعيد

( ٤ ) المحافظة على وزن او قافية كقوله

بناها فأعلى والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم

وكقول الآخر

أخالي اما كل شيء سألته فيعطي وأما كل ذنب فيغفر

وكقولهِ أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ضعيف يقاويني قصير يطاول

وكقول الآخر

وأقضي على نفسي اذا الامر نابني وفي الناس من يُقضى عليهِ ولا يقضي

ونحو « فذكر ان نفعت الذكرى سيذكر من يخشى »

( ٥ ) للاختصار مع تخييل صورة وقوع الفعل كقوله

وكم ذدت عني من نحامل حادث وسورة أيام حززن الى العظم

فان السامع اذا سمع حززنَ الى العظم تخيل كأن هنالك سكيناً او ما شاكلها تمضي في اللحم الى العظم وقد عدّه بعضهم من قبيل دفع ابتدار الذهن الى غير المراد بناءً على انه لو قال حززن اللحم توهم اوّلاً ان المقصود الاخبار بحزّ اللحم من غير نظر الى انتهائه الى العظم

( ٦ ) طلباً لا بقاء الذهن متنبهاً الى أن ياتي على آخر الجملة كقوله

ولقد طلبنا فلم نجد لك في السو دد والمجد والمكارم مثلا

فانه لو قال ولقد طلبنا لك مثلاً الخ لأمكن احتمال ان يقف الذهن عند ذكر المفعول به و يتلاهى او يغفل عما بعده وذكر الامام جلال الدين السيوطي ان الغرض من حذفه هنا ارادة ذكره ثانياً على وجه يتضمن اتباع الفعل على صريح لفظه اظهاراً لكمال العناية بوقوعه عليه والله اعلم

( ٧ ) لا ستهجان ذكره كقول عائشة « والله ما رأى مني ولا رأيت منه » اي العورة . وقد يحذف لاغراض اخرى كارادة اخفائه او التمكن من انكاره ان مست الحاجة او ادعاء تعينه وقد تركنا التمثيل لها لانها اغراض اكثر ما تاتي في المخاطبات الشفاهية و يتنبه لها بكثرة المزاولة وهي في اكثر مواقعها لا تخفى على الفطن السريع الملاحظة وان خفيت على غيره كثيراً واعلم ان الحذف لا يختص بالمفعول به بل يتناول غيره من متعلقات الفعل كالمجرور وخلافه فانها تحذف اذا وجد للحذف غرض من الاغراض المارّة مع قيام قرينة تدل على المحذوف فلا يذهب عنك

## خاطر

### ﴿ في تأثير النفي في الجملة الفعلية ﴾

وقبل الشروع في موضوعنا هذا لانرى بدًا من التنبيه الى الامور الاتية وهي

(اولاً) ان النفي لا يتوجه الاَّ الى الاسناد والاسناد يقتضي الحدث او الفعل لفظًا او معنى فاذا وجد الفعل لفظًا في الجملة فهو اولى بدخول حرف النفي عليه فاذا دخل على غيره من متعلقاته فلا بدَّ لذلك من غرض وهذا الغرض ان لم يكن نفي الفعل عن المتقدم واثباته لغيره من جنسه كان الاهتمام به وارادة ان النفي متوجه اليه من حيث انه قيد لمضمون الجملة مع قطع النظر عن ارادة اثبات الحكم لغيره من جنسه . ولنضرب لك مثالاً تستأنس به للمقصود نحو «ما في بيت خالدٍ رأيت زيدًا اليوم» بتقديم الظرف على الفعل فان الغرض هنا ان لم يكن نفي رؤية زيد اليوم في بيت خالد واثبات انها كانت في بيت عمرو مثلاً كان لنفي الرؤية اليوم انها كانت في بيت خالد مع قطع النظر عن اثباتها في بيت آخر غير بيت خالدٍ وهذا ما نريد بقولنا لغيره من جنسه

(ثانيًا) القيد متأخرٌ عن المقيد به مطلقًا فاذا اجتمع في الجملة متعلقان من متعلقات الفعل رتبتهما واحدة كأن يكونا زمانين او مكانين او سببين او غير ذلك فلا بد من ان تريد تقييد احدهما بالآخر والاولى

ان يكون المتأخر منهما قيداً للمتقدم و بعبارة اخرى فالاولى ان تؤخر ما هو في اعتبارك قيد لصاحبه . وهذا يجب مراعاته في النفي اكثر مما في الايجاب ولا يجوز لك ترك دلالة هذه الخاصة الاَّ مع قيام قرينة اوضح من الشمس على خلافها

( ثالثاً ) الفعل يدل وضعاً على الزمان فاذا عدت فقيدته بزمان مخصوص فلا بد من ان يكون مقصودك تقييد مضمون تلك الجملة به والاَّ كان ذكره عبثاً مثاله « ماجاء زيد الى بيت اخيه » فان الزمان المدلول عليه بالفعل جاء يستغرق الماضي باسره من غير ترجيح لاحد اجزائه على الآخر ولذلك اذا « قلت » ما جاء زيد الى بيت اخيه البارحة كان مرادك تقييد عدم مجيئه الى بيت اخيه بالبارحة لا بغيرها من الازمنة اي ان النفي متوجه الى مضمون الجملة باعتبار هذا القيد فقط وهو ظاهر وهكذا اذا قلت لا ترى زيداً غداً كان المراد تقييد عدم رويتك زيداً بالغد او توجه النفي الى قيد الزمان دون المفعول به

واذا علمت ما قدمناه من هذه التنبيهات الثلاثة فلنتقدم الآن الى ما نريد الكلام فيه من تاثير النفي في الجملة الفعلية و بالله التوفيق

يراد بالجملة البسيطة المطلقة الموجبة كقام زيد اثبات المسند للمسند اليه فاذا تقدم النفي على هذه الجملة كان المراد نفي المسند عن المسند اليه كقولنا « ما قام زيد » على انك اذا قيدت هذه الجملة بقيد من القيود كان النفي موجهاً الى القيد الزائد فقط لا الى الاسناد ونعني بذلك انه لا يتحقق نفي الاسناد الاَّ مع تحقق ذلك القيد مثاله جملة رأيت زيداً فانك اذا

ادخلت النفي عليها فقلت « ما رأَيت زيداً » كان المراد نفي رؤية زيدٍ لا نفي الرؤية مطلقاً لتوجه النفي اليها باعتبار القيد الزائد . وكذلك اذا قلت « ما رايت زيداً صادقاً » كان المقصود نفي رؤية زيد من حيث تلبسه بالصدق لا نفي مطلق رؤيته فاذا قلت ماراَيت اليوم زيداً صادقاً توجه النفي الى قيد الزمان بمعنى انك ماراَيته صادقاً اليوم فلا يعارض قولك هذا قولك رايت زيداً صادقاً البارحة ولا ينافيه . ثم اذا قلت « ما رايت زيداً صادقاً فيما قالهُ عن عمرو » توجه النفي الى المجرور ( عن عمروٍ ) فلا ينافي قولك هذا قولك « رايت زيدا صادقاً فيما قاله عن بكرٍ او خالدٍ او عبد الله » ولا يعارض صدق النفي فيه ولا كذبه . فادا قلت « ما رائت زيداً صادقاً فيما قاله الان عن عمروٍ » توجه النفي الى الزمان بمعنى انك نفيت رؤيتك زيداً صادقاً فيما قالهُ عن عمروٍ ( الان ) لا في غيره من الازمنة . وهلم جرًّا

ولنمثّل لك على صورةٍ اخرى فنقول . اذا قلت « ما جاءَ زيدٌ » توجه النفي الى الاسناد اي ان المجيء وهو المسند منفي عن زيد وهو المسند اليه . فاذا قلت « ما جاء زيدٌ اليوم » توجه النفي الى الزمان . ثم اذا قلت « ما جاء زيدٌ راكباً » توجه النفي الى الحال فاذا قلت « ما جاء زيدٌ راكباً اليوم » او « ما جاءَ اليوم زيدٌ راكباً » توجه النفي الى الزمان وكذلك اذا قلت ما جاءَ زيدٌ راكباً فرساً فالنفي موجه الى ( فرساً ) لا الى مجيئه ولا الى مجيئه راكباً فاذا قلت « ما جاءَ زيدٌ راكباً فرساً حمراء » توجه النفي الى الصفة ( حمراء ) فاذا زدت على الجملة قيد الزمان توجه النفي اليه على

الاعتبار الذي مرَّ بك . وهكذا يتمشى الحكم مع القيد بالسبب والمكان والعطف الا ان القيد بالزمان مهما ذكر في الجملة المنفية فالأَولى ان يتوجه اليه النفي دون ما سواه من بقية القيود الا اذا قامت قرينةٌ على خلافهِ . ومن القرائن اللفظية تقدم القيد على الفعل راجع التنبيه الاول واما القرائن المعنوية والتي يقتضيها الحال فلا ضابط لها كما تعلم

ونزيد ايضاً انه اذا تقيد الفعل بجميع قيودهِ ما عدا الزمان توجه النفي الى السبب فاذا لم يذكر السبب فالى المكان فاذا لم يذكر المكان فالى المفعول به فالى المعطوف ما لم تدلَّ قرينة على خلاف ذلك فينصرف النفي الى ما تقتضيهِ تلك القرينة . وسببه على ما ارى ان الزمان المدلول عليهِ بنوع الفعل يتسع لوقوع الفعل المقيد بالمكان والسبب اكثر من مرة وهذا اطلاق فاذا ذكر قيد الزمان مع قيد المكان والسبب قيد الفعل معهما لمرَّة بعينها كما لا يخفى على من تامل فكان اذن قيداً زائداً على بقية القيود مقيّداً لها فتوجه اليه النفي دون غيره ولزيادة الايضاح نمثل بقولنا « ذهب زيدٌ الى دمشق لزيارة اخيه البارحة » فانه لا يخفى ان الزمان المدلول عليهِ بلفظ الفعل يتسع لتكرار هذا الذهاب الى دمشق لزيارة اخيه اكثر من مرة فلا يتعين ايُّ المرات يراد بهذه الجملة الاَّ اذا تقيدت بلفظ البارحة كما ترى . فاذن قيد الزمان قيدٌ للفعل مخصص له باعتبار اضافته الى مكانه وسببه معاً والنفي المتقدم على الفعل يتوجه الى القيد المخصص كما مرَّ فاذن يتجه الى الزمان عند الاطلاق . ثم اذا قلنا « ذهب زيد الى الشام لزيارة اخيه » فمن الواضح ان السبب قيد للفعل باعتبار اضافته الى المكان مخصص

لها فيتعين توجه النفي اليه ومثلهُ ايضاً في الوضوح اذا قلت « ضرب زيد عمراً في ساحة البلد » فان المكان قيدٌ مخصص يتوجه اليه النفي دون المفعول وكذلك المفعول قيد يتوجه اليه النفي دون الفاعل وهكذا

بقي لي ان اشير الى ما اذا اجتمع قيدان في الجملة من رتبة واحدة كقولك « ذهب زيدٌ من بيروت الى الشام » فان القيدين مكانيان يصح توجه النفي الى كل منهما ولا بد للتعيين من قرينة فاذا فقدت القرينة الخارجية فلا بد من نصب قرينة التقديم والتاخير فاخر ما اردت ان يكون قيداً لصاحبه فيعلم ان النفي موجه اليه ( راجع التنبيه الثاني ) وقس على هذا ما يشاكله كقولك « رايت زيداً راكباً متوجهاً الى جهة بيتهِ » فان راكباً قيدٌ ومتوجهاً الى جهة بيتهِ قيد اخر وهما من رتبةٍ واحدةٍ فان فقدت القرينة الخارجية فانصب تاخير احدهما قرينة لفظية دلالة على ان النفي متوجه اليه دون صاحبهِ والله اعلم

## ﴿ خاطر في الجملة الشرطية ﴾

### ﴿ كلام في الجملة الشرطية عموماً ﴾

يراد بالجملة الشرطية التعميم مطلقاً فضلاً عن الربط بين الفعل والجواب فاذا قيل « من يذهب اذهب معه » مثلاً كان المراد ان ذهب زيد او عمرو او بكرٌ او حامد الخ اذهب معه واذا قلت « متى تذهبْ اذهبْ » كان المراد ان تذهب اليوم او غداً صباحاً او مساءً اذهبْ وهكذا الحال مع ادوات المكان فانك اذا قلت اينما تذهبْ اذهبْ كان المراد ان تذهب الى الشام او الحجاز او العراق او الى اي مكانٍ اخر اذهب

بقي من ادوات الشرط ان واذا ولو ولولا الحرفيات . فاما ( لولا ) فلاخفاء في معناها واستعمالها لمن وقف على ما نصهُ النحاة فيها واما لو ففي معانيها بعض الاشكال والتعدد واحسن ما جاء فيها على ما اعلم ما ذكره العلامة ابن هشام في مغني اللبيب واليك اهم ما ذكره بلفظه

### ﴿ بحثٌ في ( لو ) واقسامها ﴾

( لو ) على خمسة اوجه ( احدها ) لو المستعملة في نحو لو جاءني لاكرمته وهذه تفيد ثلاثة امور احدها الشرطية اعني عقد السببية والمسببية بين الجملتين بعدها والثاني تقييد الشرطية بالزمن الماضي وبهذا الوجه وما يذكر بعده فارقتْ ان ( فان ) تلك لعقد السببية والمسببية في المستقبل ولهذا

قالوا الشرط بإنْ سابق على الشرط بلو وذلك لان زمن المستقبل سابق على الزمن الماضي عكس ما يتوهم المبتدئون · الا ترى انك تقول ان جئتني غداً اكرمتك فاذا انقضى الغد ولم يجئ قلت لو جئتني امس اكرمتك · الثالث الامتناع وقد اختلف النحاة في افادتها له · وكيفية افادتها اياهُ على ثلاثة اقوال احدها انها لا تفيده بوجه وهو قول الشلوبين زعم انها لا تدل على امتناع الشرط ولا على امتناع الجواب بل على التعليق في الماضي — وتبعه على هذا القول ابن هشام الخضراوى وهذا الذي قالاهُ كانكار الضروريات اذ فهم الامتناع منها كالبديهي فان كل من سمع ( لو فعل ) فهم عدم وقوع الفعل من غير تردد لهذا يصح في كل موضع استعملت فيه ان تعقبه بحرف الاستدراك داخلا على فعل الشرط منفياً لفظاً او معنى تقول لو جاءني اكرمتهُ ولكنهُ لم يجيء ومنه قوله

ولو ان ما اسعى لادنى معيشة  كفاني ولم اطلب قليل من المالِ
ولكنما اسعى لمجدٍ مؤثل  وقد يدرك المجد المؤثل امثالي

وقولهُ

فلو كان حمدٌ يخلد الناس لم تمت  ولكن حمد الناس ليس بمخلد

ومنه قوله تعالى « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأنَّ جهنم » اي ولكن لم اشأ ذلك فحق القول مني وقولهُ تعالى « ولو اراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم » اي فلم يريكموهم كذلك وقول الحماسي

لو كنت من مازنٍ لم تستبح ابلي  بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

ثم قال لكن قومي وان كانوا ذوي عددٍ ليسوا من الشرّ في شيءٍ وان هانا

اذ المعنى لكنني لست من مازن بل من قوم ليسوا في شيءٍ من الشر وان هان وان كانوا ذوي عددٍ ( والثاني ) انها تفيد امتناع الشرط وامتناع الجواب جميعاً وهذا هو القول الجاري على السنة المعربين ونص عليه جماعة من النحاة وهو باطل بمواضع كثيرة منها قوله تعالى« ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيءٍ قبلاً ما كانوا ليؤمنوا · ولو ان ما في الارض من شجرةٍ اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله » وقول عمر (رض) « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه » وبيانه ان كل شيءٍ امتنع ثبت نقيضه فاذا امتنع ماقام ثبت قام وبالعكس وعلى هذا فيلزم على هذا القول في الآية الاولى ثبوت ايمانهم مع عدم نزول الملائكة وتكليم الموتى لهم وحشر كل شيءٍ عليهم وفي الثانية نفاد الكلمات مع عدم كون كل ما في الارض من شجرة اقلاماً تكتب الكلمات — ويلزم في الاثر ثبوت المعصية مع ثبوت الخوف وكل ذلك عكس المراد ( والثالث ) انها تفيد امتناع الشرط خاصة ولا دلالة لها على امتناع الجواب ولا على ثبوته ولكنه ان كان مساوياً للشرط في العموم كما في قولك « لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجوداً » لزم انتفاؤه لانه يلزم من انتفاء السبب المساوي انتفاء مسببه وان كان اعمّ كما في قولك « لو كانت الشمس طالعة كان الضوء موجوداً » فلا يلزم انتفاؤه وانما يلزم انتفاء القدر المساوي منهُ للشرط وهذا قول المحققين ويتلخص على هذا ان يقال ان ( لو ) تدل على ثلاثة امور عقد السببية والمسببية وكونهما في الماضي وامتناع السبب ثم

تارة يعقل بين الجزئين ارتباط مناسب وتارة لا يعقل فالنوع الاوّل على ثلاثة اقسام ما يوجب فيه الشرع او العقل انحصار مسببية الثاني في سببية الاوّل نحو « ولو شئنا لرفعناه بها » ونحو « لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجوداً » وهذا يلزم فيه من امتناع الاوّل امتناع الثاني قطعاً وما يوجب احدهما فيه عدم الانحصار المذكور نحو لو نام لا نتقض وضوه ونحو لو كانت الشمس طالعة كان الضوء موجوداً وهذا لا يلزم فيه من امتناع الاوّل امتناع الثاني كما قدمناه وما يجوز فيه العقل ذلك نحو لو جاءني اكرمته فان العقل يجوز انحصار سبب الاكرام في المجيء ويرجحه ان ذلك هو الظاهر من ترتيب الثاني على الاوّل وانه المتبادر الى الذهن واستصحاب الاصل وهذا النوع يدل فيه العقل على انتفاء المسبب المساوي لا نتفاء السبب لا على الا نتفاء مطلقاً ويدل الاستعمال والعرف على الا نتفاء المطلق ( والنوع الثالث ) قسمان احدهما ما يراد فيه تقرير الجواب وجد الشرط او فقد ولكنه مع فقده اولى وذلك كالاثر عن عمر فانه يدل على تقرير عدم العصيان على كل حال وعلى ان انتفاء المعصية مع ثبوت الخوف اولى وانما لم تدل على انتفاء الجواب لامرين احدهما ان دلالتها على ذلك انما هو من باب مفهوم المخالفة وفي هذا الاثر دل مفهوم الموافقة على عدم المعصية لانه اذا انتفت المعصية عند عدم الخوف فعند الخوف اولى واذا تعارض هذان المفهومان قدم مفهوم الموافقة الثاني انه لما فقدت المناسبة انتفت العلية فلم يجعل عدم الخوف علة عدم المعصية فعلمنا ان عدم المعصية معلل بامر آخر وهو الحياء والمهابة والاجلال

والاعظام وذلك مستمر مع الخوف فيكون عدم المعصية عند عدم الخوف مستنداً الى ذلك السبب وحده وعند الخوف مستنداً اليه فقط او اليه والى الخوف · معاً وكذا « لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذاً لامسكتم خشية الانفاق » فان الامساك عند عدم ذلك اولى (والثاني) ان يكون الجواب مقرّراً على كل حال من غير تعرُّض لأولوية نحو « فقالوا ياليتنا نردُّ ولا نكذّب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين · بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ﴿ ولو ردُّوا لعادوا ﴾ لما نهوا عنه وانهم لكاذبون » فهذا وامثاله يعرف ثبوته بعلة مستمرّة على التقديرين والمقصود في هذا القسم تحقيق ثبوت الثاني واما الامتناع في الاول فانه وان كان حاصلاً لكنه ليس المقصود

(الثاني) من اقسام (لو) أن تكون حرف شرط في المستقبل الّا انها لا تجزم كقوله

ولو تلتقي أصداؤنا بعد موتنا ومن دون رمسينا من الارض سبسبُ
لظل صدى صوتي وان كنت رمة لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

وقول توبة

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت عليَّ ودوني جندلٌ وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة اوزقا اليها صدى من جانب القبر صائح

وقوله

لا يلفك الراجوك الّا مظهراً خلق الكرام ولو تكون عديما

وكون (لو) بمعنى (ان) قاله كثيرٌ من النحويين في نحو « وما انت بمؤمن لنا ولو

كنا صادقين · ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون · قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبث ونحو « اعطوا السائل ولو جاء على فرس » وقوله

قومٌ اذا حاربوا شدوا مآزرهم  دون النساء ولو باتت باطهار

وتحرير ذلك ان يعلم ان خاصية ( لو ) فرض ما ليس بواقع واقعاً ومن ثم انتفى شرطها في الماضي والحال لما ثبت من كون متعلقها غير واقع وخاصية ( ان ) تعليق امر بامرٍ مستقبل محتمل ولا دلالة لها على حكم شرطها في الماضي والحال · فعلى هذا قوله « ولو باتت باطهار » يتعين فيه معنى ( ان ) لانه خبر عن امرٍ مستقبل محتمل اما استقباله فلأن جوابه محذوف دلَّ عليه ( شدُّوا ) وشدُّوا مستقبل لانه جواب اذا · واما احتماله فظاهر ولا يمكن جعلها امتناعية للاستقبال والاحتمال ولان المقصود تحقق ثبوت الطهر لا امتناعه · واما قوله ولو تلتقي ( البيت ) وقوله ولو ان ليلى ( البيت ) فيحتمل ان ( لو ) فيها بمعنى ان على أن المراد مجرّد الاخبار بوجود ذلك عند وجود هذه الامور في المستقبل ويحتمل انها على بابها وان المقصود فرض هذه الامور واقعة والحكم عليها مع العلم بعدم وقوعها والحاصل ان الشرط متى كان مستقبلاً محتملاً وليس المقصود فرضه الان او فيما مضى فهي بمعنى ( ان ) ومتى كان ماضياً او حالاً او مستقبلاً ولكن قُصد فرضه الان او فيما مضى فهي الامتناعية ( والثالث ) ان تكون حرفاً مصدرياً بمنزلة أن الا انها لا تنصب واكثر وقوع هذه بعد وَدَّ ويوَدُّ نحو « ودُّوا لو تدهن · يودُّ احدهم لو يعمرُ » ( والرابع ) ان تكون للتمني نحو لو تأتيني فتحدّثني قيل ومنه « فلو أنَّ لنا كرةً » اي فليت لنا كرّةً —

وقال بعضهم هي ( لو ) الشرطية أُشربت معنى التمني بدليل انهم جمعوا لها بين جوابين جواب منصوبٍ بعد الفاء وجواب باللام كقوله

فلو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذنائب اي زير
بيوم الشعثمين لقر عيناً وكيف لقاء من تحت القبور

وقال ابن مالك هي ( لو ) المصدرية أُغنت عن فعل التمني . وذلك انه أورد قول الزمخشري وقد تجيء ( لو ) في معنى التمني في نحو لو تأتيني فتحدثني فقال ان اراد أنَّ الاصل وددتُ لو تأتيني فتحدثني فحذف فعل التمني لدلالة ( لو ) عليه فأشبهتْ ليت في الاشعار بمعنى التمني فكان لها جواب كجوابها فصحيح او انها حرف وُضع للتمني كليت فممنوع لاستلزامه منع الجمع بينها و بين فعل التمني كما لا يجمع بينه و بين ليت اه ( الخامس ) ان تكون للعرض نحو لو تنزل عندنا فتصيب خيرًا ذكره في التسهيل وذكر ابن هشام اللخميّ وغيره لها معنى آخر وهو التقليل نحو « تصدقوا ولو بظلف محرق » وقوله تعالى « كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم » وفيه نظر

هذا خلاصة ما ذكره هذا العلامة في كتابه مغني اللبيب طبع بمصر بالمطبعة المجاورة للقطب الدردبري سنة ١٣٠٢ وجه ٢٠٥ — ٢١٥ . بقي ان واذا ولها ابحاث خاصة بهما ستقف عليها بالتفصيل ان شاء الله

## ﴿ ان واذا ﴾

و يراد بهما تعليق حصول مضمون الجزاء بحصول مضمون الشرط في الاستقبال نحو « ان أكرمتني أُكرمك » فان حصول اكرامي لك ( وهو

مضمون الجزاء ) معلق بحصول اكرامك لي ( وهو مضمون الشرط ) و ( ان ) دالة على هذا التعليق ومثله قولك امهلني ريثما افرغ من هذا المكتوب « فاذا فرغت منه كتبت لك ما تشاء » فان كتابتي لك ما تشاء ( وهو مضمون الجزاء ) معلق على فراغي من المكتوب ( وهو مضمون الشرط ) و ( اذا ) دالة على التعليق

واعلم انه يجوز لك ان تقيد الشرط والجزاء بما تشاء من قيود الزمان والمكان فاذا كانا مطلقين فيقيدان بقرينة العرف والحال فاذا لم تدل قرينة على تقيدهما بزمان ولا مكان صح فيهما اعتبار عموم الزّمان والمكان على الاطلاق كقولك « اذا رعيت عهد الاخوان رعوا عهدك . وان نكثت نكثوا » فانه واضح من المثالين انه لا يقصد تقيد الشرط ولا الجزاء بزمانٍ ولا مكان بل المراد عموم الامكنة والازمنة معاً كما لا يخفى

ثم ان الجزاء لا يكون مضمونه الا مستقبلاً لانه مترتب على الشرط لا يحصل الاّ بعد حصوله واما الشرط فلا بد فيه من اعتبار الاستقبال ايضاً فان كان ظاهره المضيّ لفظاً ومعنى فلا بد من ان يكون مبناه على فعل مقدّر له علاقةٌ به ( اي بالشرط ) يصح فيه ( اي في هذا المقدر ) ارادة الاستقبال واعتباره كقولك مثلاً لمن اخبرك بما يسرُّك « ان كان خبرك صحيحاً فلك عليّ حكمك » فان ظاهر الشرط هنا ماض لفظاً ومعنى على انه مبني على مقدّر يصح فيه ارادة الاستقبال اي ان يثبت كون خبرك صحيحاً وعليهِ قول المتنبي

ان كان سرّكم ما قال حاسدنا  فما لجرح اذا ارضاكم ألم

اي ان يثبت انهُ سركم الخ ومثله قول الآخر

ان كانت العشاق من اشواقهم  جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فانا الذي انلو لهم باليتني  كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

اي ان يثبت ان العشاق الخ وهو ظاهر وكذلك قولك لمن يعتدُّ عليك بصنيعة في الماضي ان « اكرمتني امساً فظالما اكرمتك من قبل » اي ان تعتدَّ عليَّ باكرامك امساً فاعتد عليك بما اكرمتك به من قبلُ وعليهِ ورد قول بعضهم وهو من الابيات التي يستشهد بها

انغضب ان اذنا قتيبة حزّنا  جهارًا ولم تغضب لقتل ابن خازم

اى اتغضب ان افتخر عليك مفتخرٌ او اعتدَّ عليك بحزّ اذني قتيبة واما قول المتنبي

وان طبعت قبلك المرهفات  فانك من قبلها المتصل
وان جاد قبلك قوم مضوا  فانك في الكرم الاوّل

فان طبع المرهفات قبل الممدوح وجود من جادوا امر ماضٍ لفظاً ومعنى الاَّ انَّ الشرط مبني على فرض القول كما يظهر للتأمل أي وان يقل قائل ان المرهفات طبعت قبلك فلها فضل التقدم عليك قلنا ليس الفضل بتقدم الطبع بل بالغرض المقصود من الطبع وهو المضاء وانت قد سبقتها فيه وكذلك تاويل البيت الثاني اي وان يقل هذا القائل جاد قبلك قوم مضوا فلهم الفضل عليك قلنا ليس فضلك لمجرد وقوع الجود منك حتى يصح القول بالفضل للمتقدم بل لبلوغك فيه غاية لم يبلغها احد من قبلك وكل ذلك ظاهر لمن انعم النظر

وقد يكون المقدَّر غير ما ذكرنا كقولك لمن تعلم من طبعه الجبانة « يا ابني ان كنت هيوبًا تصيرُ الى الخيبة في امورك » فالتقدير المراد من الجملة انه ان يستمرَّ بك التهيب وبعبارة اخرى كانك قلت له يا ابني انا اعلم انه من طبعك الجبانة واولى بك تركها لانك ان تبقَ وتستمرَّ عليها تصر الى الخيبة في مستقبل امرك او عند ملابسة اشغالك وهكذا في كل جملة ظاهر شرطها ماضٍ لفظًا ومعنى فانه يمكنك ردها او رد محصلها الى الاستقبال والتحول في اسلوب الرد لا يخفى على الفطن ولا يخفى عليه ايضًا تقدير المحذوف فانه يكون في كل جملة تابعًا لمناسبات القرائن والاحوال وما قدَّمناهُ مصداق لقول النحاة من ان الشرط والجزاء ينبغي فيهما ارادة الاستقبال والله اعلم

بقي علينا ان ننظر في امورٍ ثلاثةٍ وهي ( اولاً ) نوع التعليق المدلول عليه بان واذا ( ثانيًا ) ما المراد بهما والفرق بينهما في الاستعمال ( ثالثًا ) متى تستعمل كلٌّ منهما . وهي مباحث فيها من الصعوبة ما ليس في غيرها من مباحث المعاني كما لا يخفى على من وجه اليها نظره من المشتغلين في هذا الفن وتدريسه ولذلك لم نبدِ فيها رأيًا ولا كتبنا سوادًا على بياض الا بعد أن استقرينا جميع مواقع ان واذا في القرآن العزيز وعززنا ذلك بمراجعة مواقعهما في اكثر ديوان المتنبي وابي العلاء والحماسة وغير هذه من المؤلفات المعتبرة المشهود لاربابها بالفصاحة والبلاغة ودقة التعبير كالكامل للمبرَّد والاحياء للامام الغزالي والسيرة النبوية وديوان الفارض ورسائل الخوارزمي مع اطلاعنا على ما ذكره العلامة التفتازاني على شرح التلخيص

والسيد الشريف على السكاكي وعلى كثيرٍ مما ذكره العلامة الزمخشري في كشافه والله المسأول ان يلهمنا الى الصواب

## البحث الاول

### في نوع التعليق المدلول عليه بان واذا

لا يصعب على المتأمل بعد اذ يتوجه خاطره الى موضوع البحث ان يرى فرقاً في التعليق ( اي ترتب الجزاء على الشرط ) ما بين قولنا « واذا طلعت الشمس زارنا زيدٌ » وما بين قولنا « واذا طلعت الشمس وُجدَ النهار » فان الجزاء في المثال الاول وان كان مترتباً على الشرط فليس بلازم له عقلاً ولا مسلماً بملازمته انما هو مشكوكٌ بوقوعه والمتحقق فيه هو انَّ زيارة زيدٍ لا تكون الا بعد طلوع الشمس واما حصول الزيارة نفسها فمن المشكوك به الممكن وقوعه وعدمه بخلاف الجزاء في المثال الثاني فانه ملازم لوقوع الشرط لا ينفك عنه اصلاً . وكذلك يظهر لك الفرق بين قولنا « اذا اكرمت زيداً ملكته » وبين القول المتعارف « اذا اكرمت الكريم ملكته » فان الجزاء في المثال الاول غير متحققة ملازمتهُ للشرط بل يجوّز العقل ان يقع مع وقوع الشرط ويجوز ان لا يقع ايضاً والمراد من التعليق فيه الدلالة على ان الجزاء اذا وقع فانما يقع بعد وقوع الشرط بخلاف المثال الثاني فان الجزاء فيه مسلم بوقوعه عقلاً عند وقوع الشرط لا يشك في ذلك الاَّ كما يشك في سائر

المسلمات من جنسه . والمفهوم منه امران احدهما ان الجزاء مترتب وقوعه على وقوع الشرط على ما هو المفهوم من المثال الاول وثانيهما الملازمة بين الشرط والجزاء وان هـذه الملازمة متحققة في المستقبل كما انها كانت كذلك في الماضي وهذا المفهوم زائد على المفهوم من التعليق في المثال الاوّل

فبناءً على وجود هذا الفرق بين التعليقين وحباً بسهولة البحث والتعبير قسمنا الشرط من حيث تعلق جزائه بشرطه الى قسمين سمينا احدهما ( الشرط الملازم ) والاخر ( الشرط المنفكّ ) فلنتقدم الان الى تعريف كل منهما مع ذكر بعض ملاحظات لا تخلو من فائدة و يسهل علينا معها تمييز الشرط الملازم حيثما وقع و بالله التوفيق

## ﴿ الشرط الملازم والشرط المنفكّ ﴾

علمت مما مرّ بنا انّ التعليق قد يراد به الملازمة ما بين الشرط والجزاء وقد يراد به مجرّد ترتيب الجزاء على الشرط ( مع لحاظ اعتقاد المتكلم بوقوع الشرط او بلا وقوعه كما سنقف على ذلك ان شاء الله ) وعلمت ايضاً اننا بناءً على هذا الاختلاف بين نوعي التعليق قسمنا الشرط الى ملازم ومنفك فلئلا يذهب عن ذهنك ما اردناه نعود فنذكر لك ما نريد بكل منهما على صورة الحد فانه ادعى للرسوخ في الذهن واليك هو . الشرط الملازم هو ما كان مضمون الجزاء فيه لاينفك عن مضمون الشرط بمعنى انه متى ذكر الشرط وذكر الجزاء لانجد بدّاً من الحكم بتلازمهما والتسليم بان الثاني

وقع مع وقوع الاول او بعده لسبب يلحظه العقل بينهما بعد وقوفه على مضمون كليهما . والشرط المنفك هو ما يدلُّ على ترتيب الجزاء على الشرط فقط من دون ان يكون بينهما ملازمة يوجبها العقل ويحكم بثبوتها لسبب عام متعارف

واعلم ايضاً اننا اذا نظرنا الى الشرط والجزاء من موقف اخر نصل الى نفس النتيجة التي مرَّت بنا من قبل ونحكم بوجود شرط ملازم واخر منفك . ولزيادة ترويض الطالب وتنبيه خاطره نذكر لك حدّاً اخر للشرط الملازم والمنفك بعد ايقافك على الطريق الموصل لذلك

انت تعلم انَّ التعليق كالاخبار في انَّ منزلة الشرط والجزاء في هذا كالمبتدا والخبر في ذلك اي انه يمكن رد كل جملة شرطية الى مبتدا وخبر يتوسط بينهما الترتب المفهوم من التعليق في الجملة الشرطية . مثاله جملة « اذا ساد العاقل نفع الناس » وجملة « اذا ساد زيدٌ نفع الناس » فانه يمكننا ان نردَّ الجملة الاولى الى سيادة العاقل يترتب عليها نفع الناس وان نرد الثانية الى سيادة زيد يترتب عليها نفع الناس على انك بعد هذا الرد اذا نظرت الى الجملة الاولى ترى انَّ الخبر فيها مقطوع بصحة اسناده الى المبتدا وثبوته له في كل الازمنة كما لا يخفى والعقل لا يشك بصدق الاسناد ومطابقته للحقيقة لوجود السبب المقتضي لذلك وهو كونه عاقلاً بخلاف الجملة الثانية فانَّ اسناد الخبر فيها الى المبتدا بين ان يصدق وبين ان لا يصدق وليس للعقل من سببٍ متعارفٍ يحكم معه بصحة الاسناد وثبوته على ما في الجملة الاولى . بل نقول لك انه يمكنك ان تبدل لفظة ( يترتب

على ) بلفظة ( يوجب او يقتضي دائمًا ) مع بقاء الاسناد على صحته وثبوته في الجملة الاولى لوجود سبب يوجبه بخلاف الجملة الثانية فانَّ العقل يشك بصحة الاسناد فيها بعد التبديل لعدم السبب الذي يوجبه وعليه فلنا من هذه الوجهة تعريف اخر للشرط الملازم والمنفك والتعريف كما ترى · الشرط الملازم هو ( ما امكن فيه رد الجملة الشرطيه الى جملة مؤلفة من المبتدا والخبر يقطع العقل فيها بصحة الاسناد ومطابقته للحقيقة دائمًا ) والشرط المنفك هو ( ما يمكن فيه ردُّ الجملة الشرطية الى جملة مبتدا وخبر لكن لا يقطع فيها العقل بصحة الاسناد ومطابقته للواقع دائمًا ) ( تنبيه · لا تنسَ الرابط بين جملة المبتدا والخبر بعد رد الجملة الشرطية اليها )

ابنًا لك فيما مرَّ انقسام الشرط الى ملازم ومنفك وعرَّفناك ما المراد من كل منهما والطريق الموصل الى تحديدهما · بقي علينا اتماماً للفائدة ان نبين لك السبب الموجب للملازمة بين الجزاء والشرط بايقافك على انواعه ما هي

## ﴿ نوع السبب الموجب الملازمة بين الجزاء والشرط ﴾

اعلم ان هذا السبب انواع ( اولاً ) عقلي بديهي اي يعرف ببداهة العقل كقولك اذا تحرَّك جسم فلا بد له من محرّك وكقولك « اذا كان العالم حادثًا فلا يكون قديمًا » والملازمة هنا منظور اليها ابتداءً من الحال مع ارادة انها ثابتة في المستقبل كما كانت في الماضي

( ثانيًا ) طبيعي مادي · وهو اما مبنيٌّ على المشاهدة العامة كقولنا اذا

طلعت الشمس وجد النهار « واذا غلا الماء تبخر » او على الاختبار والتجربة عند ارتباطهما كقولنا اذا بلغت حرارة الماء درجة ٢١٢ فهرنهيت على مساواة سطح البحر غلا » اذا مرَّ بخار الماء على قطع حديدية محماة الى درجة الانارة انحل الى عنصريه المؤلف منهما » والملازمة هنا منظور فيها ابتداء من الماضي والحكم بصدقها في الحال والمستقبل

( ثالثاً ) طبيعي ادبي · والملازمة مع هذا السبب اقل وضوحاً احياناً منها مع السببين المارَّين وربما اوجبت الوقفة برهة مع كثيرين في بادي الرأي · كقول القائل « اذا اكرمت الكريم ملكته » وكقولك « اذا عمّ العدل ازداد العمران واذا عمَّ الظلم تناقص » والملازمة مبنية على ما هو متحقق من طبيعة الكريم والعدل وينتقل فيها من الماضي الى الحال والمستقبل على ما في السبب الثاني

( رابعاً ) شرعي ديني · والجزاء هنا اذا كان الشرط متعلقاً بالاعتقادات كان في الغالب بصورة الخبر وعليه ورد الحديث « اذا همَّ العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها فان عملها كتبت عشر حسنات واذا هم بخطية لم تكتب عليه فاذا عملها كتبت خطيئة واحدة ووراءها حسن عفو الله عزَّ وجلَّ » ومنه قول الانجيل « فانه ان غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم ايضاً ابوكم السماوي وان لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم ابوكم ايضاً زلاتكم » فاذا كان مما يتعلق بكيفية العبادات والمعاملات كان في الغالب بصورة الامر او النهي وامثلة ذلك في التنزيل كثيرة منها « واذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق ·

فان آنستم منهم رشدًا فادفعوا اليهم اموالهم . فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم »

( رابعًا ) عرفي اصلاحي . كقولك « اذا وجد البناء امتنع ظهور علامة الاعراب » وكقولك فان اقترن الجواب ( اي جواب الشرط ) بالسين او سوف وجب ربطهُ بالفاء وهنالك علامات لفظية تدلُّ على الشرط الملازم لا تخلو الاشارة اليها من فائدة اقلهُ انه بعد وقوفك عليها تحكم معها بان الشرط من قبيل الملازم من غير اطالة روية وهي

( ا ) اذا كان الجزاء امرًا او نهيًا للتعليم كقول المثل الدارج « اذا دخلت على مدينة العوران فضع يدك على عينك » وعليه المثل المتعارف « اذا اردت ان تطاع فسلْ ما يستطاع » وكقولك « اذا نزلت بك الشدة فلا يخر عزمك واصبر » ومن هذا الباب قولك « اذا جئت لزيارة قوم فسلم اولاً على رب البيت ثم على غيره من الحاضرين » وهو شائع متعارف

( ب ) اذا وقعت الجملة الشرطية معرّفًا كما اذا سئلت عن المروءة ما هي فقلت « اذا استغنى المرءُ اغنى اهله عن غيره » وعليه الحديث في الصفح الجميل « اذا صفحت عمن ظلمك فلا تعاتبه » وقد يجتمع المعرف والمعرَّف في الجملة فيكون الشرط بمنزلة المعرف والجزاء بمنزلة المعرَّف كقولهم في الناقة التي مات ولدها « فان درَّت عليه فتلك الدرور وان لم تدر فتلك العلوق »

( ج ) اذا وقعت الجملة الشرطية نعتًا كقولك « جاءني رجل اذا تقدم لا يرجع الى الوراء » او صلة لموصول كقولك جاءني الذي اذا كتب

لبّته المعاني والالفاظ طوعاً لامره وهذا الذي اذا وعد وفى واذا قال فعل » وعليه قوله

جانب السلطان واحذر بطشه  لا تخاصم من اذا قال فعل

( د ) اذا وقعت جملة الشرط خبراً عن مبتدا ما لم يكن معرفة معيناً كقولك » الكريم اذا رغبته في صنيعة رغب » فاذا كان المبتدا معرفة معيناً كقولك « زيد اذا رغبته في صنيعة رغب » جاز ان تسلّم الملازمة وجاز ان لا تسلم فاذا قلت « زيد كريم اذا رغبته في صنيعة رغب » وسلمت له بوصف الكرم سلمت الملازمة هنا كما تسلم في مثل الكريم اذا رغبته في صنيعة رغب

( ه ) اذا وقعت الجملة الشرطية خبراً لكان فانه يقصد من التعليق حينئذ الدلالة على العادة في الماضي ولا بد في العادة من اعتبار مزاولة الفعل في الماضي وتوقع حصوله في المستقبل وهذا نوع ملازمة كما لايخفى نحو قول بعضهم « وكنا اذا نزلنا بواد قلنا نعوذ بعزيز هذا الوادي » فان مفهوم الملازمة بين نزولهم في وادٍ وقولهم نعوذ بعزيز هذا الوادي واضح كل الوضوح الاّ انه حكاية ماضية وقريب من هذا قول القائل

وكنت اذا غمرت قناة قوم  كسرت كعوبها او تستقيما

وقول الآخر

وكنت اذا قوم رموني رميتهم  فهل انا في ذا يا لهمدان ظالم

الاّ انه ينبغي ان تعلم ان مفهوم هذا النوع من الملازمة ما كان العقل ليقول به لولا ذكر ( كان ) ولما كان ذكرها لازماً في هذا الموضع كانت

ابداً؛ تنبه العقل الى الملازمة كما لو تضمن الشرط سبباً يدل عليها . اما اذا وقعت الجملة الشرطية خبراً (لان) كقول القائل

انا بني نهشل لا ندعي لاب عنهُ ولا هو بالأبناء يشرينا
ان تبتدرْ غاية يوماً لمكرمة تلق السوابق فينا والمصلينا

او مفعولاً ثانياً لافعال القلوب مما يدل على اليقين كقوله

اني رأيت الفتى الكريم اذا رغبتهُ في صنيعةٍ رغبا

فحكم الشرط هنا حكمه اذا وقع خبراً لمبتدا على ما مرَّ بك في (د) واما افعال الشك فلا تدخل على الشرط الملازم لتنافي مضمونها فلا تقول اظن الجسم اذا تحرك فلا بد له من محرك ولا تقول ايضاً احسب العدل اذا عم زاد العمران واخال الشمس اذا طلعت اضاءت وكذلك لا تدخل عليه ليت ولعل وما هو في معناها كعسى ولا ما يدل على المقاربة ككاد الا ان هذه لا يمتنع دخولها على الشرط المنفك والله اعلم

واعلم انه قد ينتظم في سلك الشرط الملازم ما اذا فهم من الجملة الشرطية او أُريد بها الدلالة على خلقٍ او عادةٍ لبعضهم بشرط موافقة ذلك لاعتقاد المخاطب لانَّ المقصود بجملة الشرط حينئذٍ الاشارة الى حال من هي له في الماضي والى ان تلك الحالة ثابتة له في المستقبل ما لم يعارض ذلك (اي ثبوت الملازمة في المستقبل) ما يمنعه صراحةً كذكر (كان)

واوضح ما يستشهد به لما قدمناهُ ما جاء في التنزيل من وصف بعض المنافقين في زمن صاحب الرسالة قال « اذا لقوا الذين آمنوا قالوا امنَّا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون » فان الاية يُفهم منها

خلق القوم وعادتهم وهذا هو المراد بها ايضاً . الاَّ ان المنظور اليه ابتداءً فيها انما هو الايماء الى ما وقع من اولئك المنافقين قبل نزول الاية وفيها زيادة اخرى وهي انها تلمح الى ان هذا مستمرٌّ منهم في المستقبل . وهذا الغرض من الجملة الشرطية ( اي الايماء الى حادثةٍ وقعت في الماضي بعينها وارادة انها ستتكرر في المستقبل ) امرٌ كثير الوقوع على سبيل التعريض في المخاطبات والمكاتبات وعندي ان الشرط فيها اولى ان يعد من قبيل الملازم لا من قبيل المنفك لان الكلام مبنيٌّ معها من اول الامر على ارادة الملازمة ( لما يسوّغها في اعتقاد المخاطب ) والفرق بين الملازمة هذه و بينها في قولنا « اذا عمَّ العدل ازداد العمران » مثلاً واضح فان الاولى لا سبب يوجبها الا اعتقاد المخاطب وتلك سببها طبيعي ادبي كما علمت

وقبل ان اختم الكلام في هذا المبحث لا ارى بدًّا من التنبية الى أن الملازمة قد تكون حقيقية كما علمت وقد تكون إدعاءً لغلبة ميل الناس واقبالهم على ما يدل عليه مضمون الجزآء او لغرض من الاغراض الشعرية كالمبالغة فمثال الاوَّل قول بعضهم

اذا قلت يومًا لمن قد ترى أروني السريَّ أرَوْك الغني

فانه لغلبة ميل الناس الى الغنى واقبالهم على الغنيّ ادعى الشاعر الملازمة بين سؤالك عن السريّ و بين جوابهم لك انه الغنيّ ومثال الثاني قول ابن الوردي

ان تدمّى تنكسف شمس الضحى واذا ما ماس يزري بالأسل

فانه ادعى الملازمة للمبالغة في وصف الموصوف بالاشراق واللدونة فهذا

ما اردنا ذكره في الشرط الملازم وبيان اسباب الملازمة وما يحوم حولها وفوق كل ذي علم عليم

## البحث الثاني

### في ما المراد بإن واذا والفرق بينهما في الاستعمال

المراد بإن واذا الربط او التعليق بين الجزاء والشرط كسائر ادوات الشرط الا انهما تفترقان عن بقية الادوات في انه لا ينظر بلفظهما الى التعميم في الزمان كما في ادوات الزمان ولا الى التعميم في المكان كادوات المكان ولا الى التعميم في الموصوفات كما في الادوات التي تدل عليها. فقولك مثلا « متى زرتني تجدني يراد به ان تزرني اليوم او غدًا او بعد غدٍ صباحًا او مساء الخ تجدني » وهذا العموم في الزمان يدل عليه بلفظ ( متى ) بخلاف قولك ان تزرني تجدني او اذا زرتني تجدني فان لفظ ان واذا خالٍ بنفسهِ عن التعميم المدلول عليه بمتى وان صح ارادته في جملتها عند عدم القرينة على ارادة التخصيص فيها

وهنالك فرق اخر وهو انه يمكنك الابدال من بقية الادوات غيرهما ولا بدَّ حينئذٍ من اظهار ( ان ) مع البدل كقولك « متى تزرني ان غدًا او بعد غدٍ تجدني » وكقولك « اينما كنت ان في البلد او خارجها اكون معك » ولا يبدل من ( ان واذا ) انما يصح تقييد شرطها بالزمان والمكان كما لا يخفى عليك. ثم لما كان هذان الحرفان يشتركان في الربط او التعليق فرَّق فصحاء

المتكلمين في الاستعمال بينهما بالنظر الى اعتقاد المتكلم فجعلوا ( ان ) للدلالة على انه يشك بوقوع الشرط واذا للدلالة على انه يقطع بوقوعه . وقد اجمع جميع علماء المعاني على وجوب مراعاة هذا الفرق في استعمالها وقالوا ان الفصيح لا يقول مثلاً « اذا جاء زيدٌ اكرمتهُ » الاَّ وهو يقطع ان مجيئه سيقع ( ولا يقطع بان الشرط سيقع الاَّ لسبب يقتضيه عنده ) فتكون ( اذا ) في كلامه قرينة عند السامع يفهم منها اعتقاده بالقطع وكذلك لا يقول « ان جاء زيدٌ اكرمته » الاَّ وهو يشك بوقوع المجيء فتكون ( ان ) في كلامه قرينة تدل على اعتقاده بالشك . وهكذا ورد استعمال هاتين الاداتين في الكلام المقطوع بفصاحة قائله كالحديث وآيات التنزيل واليك مثال ذلك . روى انه ( صلعم ) أمر اميرًا وارسله لقتال المشركين فقال له « اذا لقيت عددًا من المشركين فادعهم الى الاسلام فان اجابوك فاقبل منهم وان ابوا فادعهم الى الجزية وعقد الذمة فان هم اجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم » فانه لما كان لقاء عدد من المشركين من المقطوع بوقوعه استعملت اذا في جانبه ولما كانت بقية الشروط ( اي فان اجابوك وان ابوا وان هم اجابوك ) جميعها من المشكوك بوقوعها استعملت ( ان ) في جانبها

على انك اذا استقريت كلام الفصحاء لم تجدهم وقفوا في استعمال هاتين الاداتين عند هذا الحد بل تجاوزوا بان من الدلالة على الشك الى الدلالة على اسباب الشك ودواعيه وباذا من الدلالة على القطع الى الدلالة على اسباب القطع . وانت تعلم ان وضعهم سبب الشيء موضعه وتنويب اما له علاقة به منابه كثير في اغلب مناحي كلامهم واساليبه او ما تراهم يسندون

الفعل الى سببهِ بدلاً من اسناده الى فاعله كقولهم « بنى الامير المدينة ومدَّ الوالي الاسلاك البرقية » و يسندونه ايضاً الى زمانه او مكانه او شرطه كقولهم « انبت الربيع البقل وسال النهر وأنزل الغيم المطر » ومنه قول الشاعر

اشاب الصغير وافنى الكبير كرُّ الغداة ومرُّ العشيّ

وهم ايضاً يحذفون جواب الشرط ويقيمون سببه او ما له تعلق به مقامه وكذلك يحذفون فعل الشرط و يدخلون الاداة على متعلقه كما مرَّ بك

فاذا علمت هذا قلنا لك ان هذا حالهم مع ان واذا فانهم يستعملونهما كثيرًا لا للدلالة على ان المتكلم يشك بوقوع الشرط او يقطع به بل للايماء الى سبب من اسباب الشك او القطع فهذا المتنبي يقول

اذا انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمرَّدا

فلم يستعمل ( اذا ) للدلالة على انه يقطع بوقوع الشرط ولا ( ان ) للدلالة على انه يشك بوقوعه بل للتنبيه على ان اكرام الكريم واقعٌ موقعه وعلى عكسه اكرام اللئيم لانه لا يستحقُّ الاكرام ترغيباً في الاول وحثاً عليه وتنفيرًا من الثاني وصرفاً عنه . وهذا ابو العلا يقول

لفظٌ كانَّ معاني الشكر تسكنهُ فمن تحفظ بيتًا منهُ لم يفق

اذا ترنم شادٍ للبراع بهِ لاقى المنايا بلا خوف ولا فرق

وان تمثل صادٍ للصخور بهِ جادت عليهِ بعذب غير ذي رنق

فان الجملتين الشرطيتين في البيت الثاني والثالث كلٌّ منهما نعت ( لفظٌ ) في البيت الاول والقول بان ( اذا ) في البيت الثاني للدلالة على القطع و ( ان ) في الثالث للدلالة على الشك تحكم لا دليل عليه بل يعارضه انهما للوصف

والوصف يقتضي التلبس والثبوت وهذا يباين اعتقاد الشك و يمنع منه وعليه فقد خرج ابو العلا بان واذا عن اصل دلالتهما الى ما له تعلق بها من سبب او داعيةٍ واقرب ما يقال انه لما كان الشرط في البيت الثاني قريب من المألوف والمعتاد وفي البيت الثالث بعيدٌ عنهما والقرب من المألوف سبب للقطع والبعد عنه سبب للشك لاجرم استعمل ( اذا ) مع الاول و ( ان ) مع الثاني اما قصداً او عفواً مدفوعاً اليه بحسن الذوق وكثرة مزاولته الكلام البليغ وتخرُّجه فيه · وقريب من هذا قول الاخر

يارب ان قدرتهُ لمقبِّل غيري فللأقداح او للاكؤس
واذا حكمت لنا بعين مراقب في الدهر فلتك من عيون النرجس

فان الشرطيتين في البيت الاول والثاني واقعتان جواباً للندا وأولى ان يكون حكمها بالنظر الى اعتقاد القطع او الشك واحداً فضلاً عن ان القطع يقتضي سبباً متعارفاً معلوماً لا دليل على وجوده في البيت الثاني الا على شاكلة ما هو في البيت الاوّل ولهذا فعندي انه نظر في البيت الاول الى ما يشقُّ على النفس تحمله من تقبيل غيرة حبيبه لما فيه من النفرة الطبيعية ونظر في البيت الثاني الى ما في تحمل عين الرقيب من السهولة بالنسبة الى التقبيل فاستعمل ( ان ) في الجانب الاوّل و ( اذا ) في الجانب الثاني لان في نفورك الشيء وامكان تحملك المشقة بسببه ما يدعو بك الى الشك بوقوعه كانك لا تريد به ان يقع بخلاف ما هو على عكسه

ولا اقول ان الشاعر نظر قصداً الى ما تأولت له به كلامه بل ربما كان هذا وربما انساق عفواً الى استعمالها بحكم البداهة التي فيهِ فطرة

كانت او اكتساباً والشواهد على الخروج بان واذا عن اصل استعمالها الى الاسباب التي تدعو الى الشك او القطع كثيرة لمن اراد الوقوف عليها في كلام الفصحاء وأهم من ذكر تلك الشواهد ان نبين لك تلك الاسباب ما هي فتعتبرها في ما تراه من كلامهم واليك هي

## ﴿ الاسباب التي يميل معها العقل الى الشك او تدعوه اليه ﴾

( اولاً ) كراهة الشيء او توقع الضرر منه وما في معناهما

( ثانياً ) ندرة وقوعه

( ثالثاً ) صعوبته في نفسه او صعوبة الاسباب التي يتوصل بها اليه

( رابعاً ) مخالفته للمعتاد او للمجرى الطبيعي المتعارف

( خامساً ) مخالفته لما في اعتقادك او لما تتوقعه

( سادساً ) اذا كان المقصود اضافته اليه لا يستحقه كاكرام اللئيم مثلاً

( سابعاً ) الاستقبال مظنة للشك في الغالب فانك اذا التفت الى شيء باعتبار انه سيقع قام في نفسك مع التفاتك هذا خاطر الشك

فهذه على ما نرى الاسباب التي تدعو الى الشك والتي يصح للكاتب ان يستعمل ( ان ) للاشارة الى واحد او اكثر من واحد منها ولسهولة الاشارة اليها نسميها بمتعلقات الشك او اسبابه . واما اسباب القطع فعكس هذه واليك هي

## ﴿ الاسباب التي يميل معها العقل الى ﴾
## ﴿ القطع بوقوع الشيء او تدعوه اليه ﴾

( اولاً ) الرغبة في الشيء او توقع النفع منه وما في معناها

( ثانياً ) كثرة وقوعه

( ثالثاً ) سهولته في نفسه او سهولة الاسباب التي يتوصّل بها اليه

( رابعاً ) موافقته للمعتاد او للمجرى الطبيعي المتعارف في النفس او في الخارج

( خامساً ) موافقته لما في اعتقادك او لما تتوقعه

( سادساً ) اذا كان المقصود اضافته اليه مستحقاً له

( سابعاً ) النظر اليه انه وقع في الماضي او كان سبق عنه اخبار بوقوعه نحو « هو رجلٌ ألبج احور من ولد لؤي بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص فاذا دعاكم فاجيبوه » ونحو « لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه »

فاذا علمت هذه الاسباب فاعلم انّ ( ان واذا ) قلّما يخرجان عن اصلها من الدلالة على الشك والقطع الاّ الى ما له تعلّقٌ به من الاسباب المارّة

# ﴿ البحث الثالث وفيه بحثان ﴾

## ﴿ بحث اول ﴾

### ﴿ في استعمال ان واذا في الشرط الملازم ﴾

مرَّ بنا تحديد الشرط الملازم وعرفنا ما المراد منه ونزيد هنا انه ابدًا متحققٌ فيه وقوع الشرط وان المقصود منه بالذات انما هو الدلالة على التعليق وبيان الملازمة بين الجزاء والشرط لا بيان ان الشرط مقطوع بوقوعه او مشكوكٌ فيه . اما ان الشرط فيه متحقق الوقوع فواضح من اقل تامُّل في قولنا « اذا غلا الماء تبخر » واوضح منه طلوع الشمس في قولنا « اذا طلعت الشمس وُجد النهارُ » لكن ربما يتوقف بعضهم بادئ الرأي في قول المتنبي « اذا انت اكرمت الكريم ملكته » الاَّ انه اذا تامل علم انه لا يراد كريمًا بعينه في الجملة ولا مخاطبًا بعينه في زمان معين ومع هذا الاطلاق فاكرام كريم ما امرٌ مقطوع بوقوعه ومثله « اذا يسر الله أمرًا هيأ اسبابه واذا تاب العبد غفر له » فان تيسير الله لامرٍ ما وتوبة عبد من عباده ابدًا مقطوع بوقوعهما فقس على ما ذكرنا غيره من بقية امثلة الشرط الملازم فانك تجد الشرط متحقق الوقوع في جميعها . ولما كان الامر كذلك فلا يصحُّ بعد استعمال ان واذا على اصلهما مع الشرط الملازم اما ( اذا ) فلأن استعمالها على اصلها تحصيل للحاصل واما ( ان ) فللمنافاة بين اصل استعمالها القطع بوقوع الشرط المفهوم دائمًا من الشرط الملازم كما يظهر كل ذلك للمتأمّل

وعليه لا تستعمل ان واذا في الشرط الملازم الاَّ لاحد امرين اما للدلالة على مجرَّد الربط وحينئذٍ فالميزة لإذا على (ان) لعدم المنافاة بين اصل دلالتها وتحقق وقوع الشرط المفهوم من الجملة ولوجود المنافاة مع (ان) كما مرَّ بك · واما الدلالة على الربط مع لمح شيءٍ من متعلقات الشك او القطع على حسب ما يقتضيه المقام مع ان واذا وهذا ما نريد بيانه بالاستشهاد وقد المحنا الى شيءٍ منه في الفصل الذي مرَّ بك قال بعضهم

اذا ضيقت امرًا ضاق جدًّا وان هوَّنت ما قد عزَّ هانا
فلا تهلك لشيء فات يأسًا فكم امرٍ تصعَّبَ ثم لانا

وهما من ابيات الكامل للمبرَّد فاستعمل اذا في صدر البيت وان في عجزه مع ان الشرط من قبيل الملازم في الجملتين اشعارًا بان تضييق الامر جارٍ على المعتاد المعروف من طباع الناس وانَّ تهوين الامر النازل بهم مخالف للمألوف من طباعهم فلا يقع الا من افرادهم وهم اهل الحكمة واولو البصر · والبيت الثاني نصيحة بترك التضييق لمن ضيَّقَ على نفسهِ مع بيان الوجه المبنية عليه تلك النصيحة وفيها دليل على ان الشاعر يلمح الى ان التضييق هو الموافق للمجرى المعتاد عند اكثرهم فتأمَّل

وعلى هذا النمط تناوَل ابيات بشامة بن حزن النهشلي يفتخر بقومه وما هم عليه من رائع الصفات ومكارم الاخلاق · قال

انا بني نهشل لا ندعي لاب عنه ولا هو بالابناء يشرينا

ثم قال

ان تبور غايةٌ يومًا لمكرمة تلق السوابق فينا والمصلينا

اذا الكماة نحول أن ينالهم حدُّ الظباة وصلناها بايدينا

فاستعمل ان في البيت الثاني واذا في البيت الثالث مع ان نوع التعليق واحدٌ لانه نظر مع ان الى المستقبل ومع اذا الى الماضي

واليك ما قال الاخر

يمثل ذو اللُّبِّ في نفسهِ مصائبهُ قبل أن تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعهُ لما كان في نفسهِ مثّلا
وذو الجهل يامن ايامهُ وينسى مصارع من قد خلا
فان بدهتهُ صروف الزمان ببعض مصائبهِ أعولا

فانه استعمل ان في البيت الثاني والرابع فان قلنا انه استعملها في اصل معناها اي الشك وقع التنافي بين المراد بها وبين المفهوم من تحقق وقوع الشرط فانه لا ينكر تحقق وقوع المصائب بغتة بذي اللب وبالجاهل الاَّ المكابر لانه لا يراد بذي اللب شخصاً بعينه ولا بالجاهل جاهلاً بعينه بل يراد مطلق ذي لبٍّ ومطلق جاهلٍ ومع هذا الاطلاق فتحقق وقوع الشرط ظاهر للمتامل ظهور طلوع الشمس فلم يبقَ الاَّ انه اراد أن يلمح الى متعلق الشك فلمح بالبيت الثاني اما الى ان ذا اللب لا يستحق ان تباغته المصائب واما الى انهُ يكرَهُ لهُ أن تباغتهُ ولمح بان في البيت الرابع الى ندرة مباغتة صروف الزمان للجاهل اعتماداً على الاعتقاد الشائع ان الجهال قلما تنزل بهم المصائب بل تتخطاهم الى العقلاء وَرُبما كان قولهُ في البيت الثالث « وذو الجهل يأمن ايامهُ » اشارة الى هذا الاعتقاد

واليك ما قال الآخر وهو من شعراء الحماسة

اذا انت أُعطيت الغنى ثمَّ لم تجد ... بفضل الغنى أُلفيت ما لك حامد
اذا انت لم تعرك بجنبك بعض ما ... يريب من الادنى رماك الاباعد
اذا الحلم لم يغلب لك الجهل لم تزل ... عليك بروق جمة ورواعد
اذا العزم لم يفرج لك الشك لم تزل ... جنيبًا كما استنتلى الجنيبة قائد
وقلَّ غناء عنك مال جمعته ... اذا صار ميراثًا وورَّاك لاحد
اذا انت لم تترك طعامًا تحبهُ ... ولا مفعدًا تدعى اليهِ الولائد
تجللت عارًا لا يزال يشبُّه ... سباب الرجال نثرهم والقصائد

فانه لما لم يقصد الاَّ الى الربط تنصحًا للمخاطب وتنبيهًا لهُ الى ملازمة مقررةٍ عندهُ لا جرم اذا استعمل ( اذا ) في جميع ابياتهِ

واما قول ابن الوردي صاحب اللامية المشهورة

ولهُ عن آله لهو أطربت ... وعن الامرد مرنج الكمل
ان تبدَّى تكسف شمس الضحى ... واذا ما ماس يزري بالاسل

فانه ادَّعى أنَّ الشرط من قبيل الملازم مبالغةً الاَّ انه استعمل ( إن ) في صدر البيت و ( اذا ) في عجزه لان المبالغة في عجز البيت اسهل قبولاً منها في صدره . وعلى هذا النحو نتأوَّل لهُ قولهُ في القصيدة عينها قال

أنا لا اختار تقبيل يد ... قطعها اجمل من تلك القبل
ان جزتني عن مديحي صرت في ... رقها او لا فيكفيني الخجل

فانه عدَل عن اذ الى ان الدلالة على أنه يكره أن تجزيه تلك اليد لانها يد لئيم بدليل قولهِ « قطعها اجمل من تلك القبل » وربما قصد الى انه لما كانت يد لئيم فمكافأتها عن المديح مخالف لمجرى عادتها فضلاً عما هنالك من صعوبة

العطاء على اللئيم ولداع آخر عدل الى ( إن ) فيما بعد هذا حيث يقول

بين تبذير وبخل رتبة وكلا هذين ان زاد قتل

فانه اشار باستعمالها دون ( اذا ) الى كراهة الزيادة او الى الضرر الناتج عنها ويؤيده الجواب

جاء في سفر تثنية الاشتراع « اذا رأيت حمار مبغضك ساقطاً تحت حمله فلا تتجاوزه حتى تحل عنه » وجاء في الرسالة الى الرومانيين « ان جاع عدوك فاطعمه وان عطش فاسقه » والشرطان في الآيتين ملازمان يتعلقان بالمعاملات ولا وجه لاختلاف الاداتين فيهما الاَّ ان يقال ان فعل الشرط في الاولى كثير الوقوع وموافق للمألوف المشاهد بخلافه في الآية الثانية فانه نادر الوقوع خارج عن جاري المعتاد

والخلاصة انَّ ( اذا ) في التعليق او الشرط الملازم تستعمل تارةً للربط فقط واخرى له وللدلالة على سبب من اسباب القطع ودواعيه واما ( ان ) فلا بدَّ معها فضلاً عن الربط من النظر الى شيءٍ من متعلقات الشك واسبابه لا الى الشك نفسه

وبعد اذ علمت ما علمتهُ فقد تهيأت للنظر في ايات الحديث والتنزيل فانها اولى أن تراعى فيها هذه الاعتبارات دون ما سواها . جاء في الحديث « ان الله لا يملُّ من المغفرة حتى يملَّ العبد من الاستغفار فاذا همَّ العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها ﴿ فان ﴾ عملها كتبت عشر حسنات ثمَّ يضاعفها الله الى سبعماية ضعف واذا همَّ بخطية لم تكتب عليه ﴿ فاذا ﴾ عملها كتبت خطية واحدة ووراءها حسن عفو الله عزَّ وجل » ( الاحيا

جزء ٤ وجه ١٣٦ ) فان الشرط من الملازم في الجمل الاربع الاَّ انهُ استعمل ( اذا ) في الجملة الأُولى ( وان ) في الثانية للاشارة الى سهولة ( أَن يهم العبد بالحسنة ) وصعوبة عملها عليه بالنسبة الى مجرد همهِ بها وهذا ظاهر الاَّ ان الاعتبار البليغ الذي تعقد عليه الخناصر انما هو في قوله « واذا همَّ بخطية لم تكتب عليه فاذا عملها » فانه لم يقل فان عملها كما قال بعد الحسنة مع انه الموافق لنظم الكلام والمتبادر اليه في الاستعمال بل عدل عن ( ان ) الى ( اذا ) للاشارة الى ان عمل الحسنة بعد ان يُهم بها فيه مشقة لخروجه عن مجاراة هوى النفس فلا يتم للمرء الاَّ بعد مغالبة النفس وقهر الهوى بخلاف عمل السيئة بعد اذ يهمُّ بها فانه خالٍ من المشقة لموافقته ميل النفس وهواها . فتأمل

ومن ايات التنزيل التي يستشهد بها البيانيون في باب ( ان واذا ) قوله «اذا اصابتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطَّيروا بموسي ومن معه» فان الشرط من قبيل الملازم في الجملتين وارادة الملازمة ظاهرة لانه اخبار بان هذه كانت عادتهم والعدول عن ( اذا ) الى ( ان ) في الجملة الثانية انما هو للنظر الى الاستقبال من جهة وللنظر الى ندرة اصابة السيئة في جانب الاصابة بالحسنة من جهة اخرى وعندي فيه نظر آخر وهو انه استعمل ( اذا ) في جانب اصابة الحسنة للدلالة على انه الموافق لمجرى المعتاد من رحمته تعالى واستعمل ( ان ) في جانب الاصابة بالسيئة اشعارًا بانه مخالف لمجرى رحمته لانه مما لا يريده جل شأنه لخلقه فان اصابهم بها فانما هي جزاء بما يستحقون

واما قوله « فاذا مسَّ الانسان ضرٌّ دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أُوتيتهُ على علم » فظاهر فيه ان المراد بيان الملازمة لان هذا طبع

الانسان على العموم الّا من هدى الله واستعملت (اذا) لانها اولى بالاستعمال عند ارادة مجرّد الربط في الشرط الملازم . فان قلت فلماذا لم تدخل ان على مسّ الضرّ للاشعار بانه مخالف لمجرى رحمته ومعاملته خلقه على ما في الاية المارّة قلت لا يلزم ذلك ولا كل مقام يقتضيه وفضلاً عن ذلك فان هذا المعنى مدلول عليه بلفظ المس والتخويل فاغنى ذلك عن المخالفة بين الاداتين بخلاف الاية الاولى فان لفظ الشرط (اعني الاصابة) واحد في جانب الحسنة والسيئة فلئلاّ يتوهّم من نظم الكلام

واتفاق لفظ الشرطين ان كلاً من الاصابة بالحسنة والسيئة من باب واحد (اي انه الموافق لمجرى احكامه لا فرق بين ان يصاب بعض خلقه بالحسنة او السيئة) عُدل الى المخالفة بين الاداتين دفعاً لهذا التوهم . فتامل

ولزيادة التقرير نورد لك آية اخرى « يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجراتٍ فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار » فان الجملتين من باب الشرط الملازم والملازمة واضحة كل الوضوح اي وجوب الامتحان اذا جئن مهاجرات وعدم ارجاعهن الى الكفار ان علم ايمانهن وكان مقتضى نظم الكلام ظاهراً استعمال اذا في الجملة الثانية الا انه عدل عنها الى (ان) للتنبيه على صعوبة تحقق العلم بايمانهن

هذا ما خطر لنا في استعمال (ان واذا) في الشرط الملازم فان لم تر الطبع بتشربه والعقل يسلم بصحته واستقراء كلام الفصحاء ينطبق عليه فارم به عرض الحائط والله يعلم وانتم لا تعلمون

## ﴿ بحثٌ ثانٍ ﴾

### ﴿ في استعمال ( ان واذا ) في الشرط المنفك ﴾

لا بد في ان واذا مع الشرط المنفك من مراعاة اصل معناها فلا تستعمل ( اذا ) الاَّ للدلالة على اعتقاد المتكلم في انَّ الشرط مقطوع بوقوعه عنده اذا لم يكن مقطوعاً به في نفسه . وفائدة ذلك راجعة الى ترتيب الجزاء فاذا قلت « اذا زارني زيد غداً ذهبت لزيارتك » فالفائدة هي انك وعدت المخاطب بزيارة مقطوع بها عرفاً والمخاطب في مثل هذه العبارة يتوقع زيارتك توقعاً مقطوعاً به استناداً على انك لم تقل « اذا زارني زيدٌ غداً » الا وانت متحقق زيارته لسبب عندك يوجب ذلك في اعتقادك فاذا ترك المخاطب البيت في الغد فجئت فلم تجده فلك ان تلوّمه على ترك البيت وعدم انتظارك وليس له ان يقول ما علمت اولم تعدني وعداً ينفي الشك بانك ستأتي لان معنى عبارتك هو انك لا تشك بزيارة زيد واذا كنت لا تشك بزيارته فقد صارت زيارتك المعلقة على المقطوع به مقطوعاً بها ايضاً

وعلى عكس ذلك اذا لم تأت لزيارة المخاطب فله ان يعاتبك وعليك ان تعتذر عن نفسك ولا يجديك القول نفعاً « ان زيداً ما زارني » لان للمخاطب ان يحجك بقوله ما كان لك ان تؤكد لي مجيء زيد قبل ان تتاكده انت بخلاف ما اذا قلت « ان زارني زيدٌ غداً ذهبت لزيارتك » فان للمخاطب ان يشك في زيارتك واذا ترك البيت في ميعاد الزيارة وخرج لشغل له فليس لك ان تعاتبه لان له ان يقول لك ما اكدت لي انك تزورني ولو اكدت لي لا تنظرتك

وكذلك اذا ادخلت ( اذا ) على شرط متحقق الوقوع في نفسه كقولك لاحد معارفك «اذا كان الظهر غداً اتيت لزيارتك» فانك تكون قد وعدته بزيارة في ظهر الغد مقطوع بها كالقطع بصيرورة الظهر غداً فكانما انت قلت له لا بد لي من زيارتك غداً الظهر . على ان ( اذا ) في مثل هذا المثل انما هي للدلالة على ربط الجزاء بالشرط اشارة الى ان الجزاء من نوع الشرط في التحقق بالنظر الى اعتقادك لا للدلالة على اعتقادك لانه اصبح بالنظر الى تحقق وقوع الشرط في نفسه من باب تحصيل الحاصل واما ( ان ) فلا يصح ان تدخل عليه للمنافاة بين اصل دلالتها وبين مفهوم الشرط في نفسه كما ذكرنا ذلك مراراً

وخلاصة ما نقوله هنا ان الشرط المتحقق الوقوع في نفسه موضع ( لاذا ) دون ( ان ) وغيره صالح لدخول كل منهما فاذا ادخلت عليه ( اذا ) فقد اردت الدلالة على انك تعتقد وقوعه لسبب معلوم عندك واذا ادخلت ( ان ) فللدلالة على ان ليس عندك من سبب يرجح وقوعه او لا وقوعه

واعلم ايضاً انك اذا كنت ترغب في وقوع الشرط او كان وقوعه نافعاً لك او موافقاً لما في اعتقادك او لما في انتظارك او كان المضاف اليه الشرط جديراً به وفقاً للحقيقة او للاعتقاد فجميع هذه قد تقوم عندك مقام الاسباب التي يقطع معها بوقوع الشرط فتكون علة لسواغية استعمال ( اذا ) و بعبارة اخرى يصح ان تلمح هذه الاغراض التي هي اسباب للقطع وتجعل ( اذا ) قرينة عند السامع للدلالة على انها مقصودة عندك واذا صح ان تلمح ( باذا ) هذه الاغراض صح ان تلمح ( بان ) عكسها كما مرَّ فلا يذهب عليك . مثاله

اذا قال لك صديق لا تشك بصدقه سمعت زيداً وعمراً يقولان سنذهب هذه الليلة لزيارتك وكان زيد فكهاً اديباً وعمرو على عكسه . فاذا قلت في جواب هذا الصديق « اذا جاء زيد ارسلنا وراءك وان جاء عمرو فاذا افنرسل وراءك ام لا » كانت ( اذا ) في الجملة الاولى دليلاً على رغبتك في مجيء زيد و ( ان ) في الثانية دليلاً على كراهتك مجيء عمرو وهكذا ينبغي ان تخرج الكلام الاّ اذا اردت الاخفاء والمغالطة فكفتك ( اذا ) التصريح بلفظ الرغبة او المديح وكفتك ( ان ) التصريح بلفظ الكراهة او ما في معناها وهي اغراض لطيفة في كلام الفصحاء تنزّه كلامهم كثيراً عما يخلّ بالرقة وحسن التهذيب وفي ما ذكرت غنى عما لم اذكره مما لا تفوت اللبيب معرفته

بقي ( لان ) على ما يؤخذ من استقراء أمثلتها في كلام الفصحاء وجه اخر في الاستعمال وهو ﴿ ايهام الشك ﴾ وقد غفل البيانيون عن هذا الوجه فاوجب لهم ذلك اضطراباً في تخريج امثلتها في كثير من المواضع ومع كل ما تكلّفوه في اظهار الوجه المستعملة فيه تطبيقاً على اصلها بقي في تخريجاتهم آثار الكلفة وعدم الانتهاء الى ما يقنع

ونحن نشير لك الى هذا الوجه اعني ( ايهام الشك ) والاغراض المرادة منه واول ما نذكره ان ايهام الشك لا يكون الا مع الشرط المنفك وثانياً ان أداته لا تدخل الا على شرط قد تحقق وقوعه من قبل كقول المتنبي في بدر بن عمار وقد فصده الطبيب فغار المبضع اكثر من حقه فاضرّ به ذلك

ان يكن البضع ضرّ باطنها فربما ضرّ ظهرها القبل

او على شرط متحقق صدقه كقول المتنبي ايضاً

ان يكن صبر ذي الرزيئة فضلاً تكن بيننا الاعز الاجلاً

او عدم صدقه كقول ابي العلاء

زعم المنجم والطبيب كلاهما ان لا معاد فقلت ذاك اليكما

ان صح قولكما فلست بنادم او صح قولي فالوبال عليكما

فان اضرار البضع بيد ابن عمّار امرٌ تحقق وقوعه فاوهم المتنبي انه شاكٌّ فيه والغرض بذلك تسلية الممدوح وتطييب خاطره وربما اراد ايضاً نفي التشفي عنه و بيان ذلك انه لما اوهم انه شاكٌّ باضرار البضع توجه العقل الى الجزاء علّه يرى فيه سبباً للشك فرتب الشاعر على الضرر المذكور في الشرط ضرراً اخر اوهم انه من جنس الضرر المذكور فيه اي « فربما ضرَّ ظهرها القبل » فكان بذلك تطييب لقلب الممدوح كما تقول لنادم على خطاء وقع منه في مسألةٍ « ان كنت قد اخطأت في هذه المسألة فاذكر انك اصبت في مسألة كذا ومسألة كذا » تعدّد له مسائل ذات شأن كان اصاب رأيه فيها جميعاً فانك بذلك تطيب قلبه وتصرف ذهنه عن الخطاء الحاضر الى الاصابة في الماضي وربما قد يموّه على نفسه انك لا تعتقد خطأه في هذه المسألة الاّ كما تعتقدهُ في تلك التي عددتها له . فعلى هذا المبدا جرى المتنبي فانه علّق على الضرر المذكور في الشرط ضرراً اخر في الجزاء ادعاءً ان الضررين من نوع واحدٍ ولما كان ضرر القُبل بظاهر اليد فيه نفر الممدوح ولا وجه معه لتشفي حاسدٍ لا جرم انصرف الذهن مغالطة الى انَّ ضرر البضع بباطنها انما هو من هذا القبيل

واما قوله

ان يكن صبر ذي الرزيئة فضلاً تكن بيننا الاعزّ الاجلاً

فانه صرف بايهامه الشك في ما لا شك فيه النظر عن المشكوك فيه وابرزه اي المشكوك فيه بصورة امرٍ متحقق لا ريب فيه وبيانه انه لولا ايهام الشك بالشرط لكان مساق برهانه على هذه الصورة

« صبر ذي الرزيئة فضل وانت اصبر الناس فانت افضلهم » والقضية الاولى متحققة عقلاً واما الثانية فلا . ويمكن فيها اتهامه بارادة التقرُّب الى الممدوح فصانع عن كل ذلك بايهام الشك في القضية الاولى فصار مؤدى كلامه الى هذه الصورة

« ان يكن صبر ذي الرزيئة فضلاً وانت افضل الناس لانك اصبر الناس » وعلى هذه الصورة انقلبت القضية الثانية المشكوك فيها في الكلام الاول الى قضية محققة لا ريب فيها لا نه جعلها تعليلاً والتعليل لا يكون فيه شك كما لا يخفى

واذا علمت هذا فلنتقدم الآن لبيان الاغراض الممكن ان تراد مع ايهام الشك والاستشهاد على كل غرض غرض بكلام من لا ينازع بفصاحتهم او لا يشك فيها اصالة والله الموفق الى الصواب

## ﴿ الاغراض الخطابية التي تبنى على ايهام الشك ﴾

( أوّلاً ) صرف النظر عن الشك بمضمون الجزاء ليوهم صحته وانه قضية مقرّرة لا يقام عليها برهان كقول المتنبي المار ذكره

ان يكن صبر ذي الرزيئة فضلاً تكن بيننا الأعزّ الاجلاّ

وقد مرّ بيانه وكقوله ايضاً

ان اكن معجباً فعجب عجيب لم يجد فوق نفسهِ من مزيد.

والفرق بين البيتين انه حذف السبب في الاول لدلالة الجزاء عليه وحذف الجزاء في الثاني لدلالة السبب عليه وتحرير البيت انه ان اعجب فيحق لي ان اعجب لاني لا أجد لاحد مزية عليّ في فصاحة او شرف ومثله قوله ايضاً

ان يفن ما يحوى فقد أبقى له ذكرًا يزول الدهر قبل زوالهِ

فانه ادّعى انه يشك في انه يفنى ما حواه ثم قال وان يفنى فلا يضره ذلك لانه قد ابقى له ذكرًا يزول الدهر قبل زواله فانظر كيف صرف الشك عن المذكور جزاءً واوهم انه من قبيل المتحقق الذي لا يحتاج الى برهان لاثباته

(ثانياً) لدفع ما يمكن ان يترتب على الشرط من غضاضة او ما في معناها تسلية المخاطب وتطييباً لخاطره ويتم ذلك بان يرتب على الشرط ما يناسب هذه الغاية ادّعاءً او تحقيقاً فمثال الاول قول المتنبي الذي اوردناه

ان يكن البضع ضرّ باطنها فربما ضرّ ظهرها القبل

---

ومثال الثاني الآية في التنزيل «فإن كذّبوكَ فقدْ كذّب رُسلٌ منْ قبلك جاؤُا بالبينات والزُّبرِ والكتاب المنير» وتحرير الآية «أن تكذيبهم اياك لما فيه من الاقدام والاجتراء على دفع الحق الصريح يكاد لا يصدق فان ثبت وقوعه فلا تحزن واصبر فقد كذب غيرهم غيرك من الأنبياء الذين جاؤُا بالبينات والزبر والكتاب المنير» ولما كان التكذيب الدال عليه الجزاء من

نوع التكذيب الدال عليه الشرط حقيقة وكان من المقرَّر عند المخاطب ان المكذبين المشار اليهم بالجزاء صبروا وفازوا ولم يلحقهم معرَّةٌ من تكذيب المكذبين لا جرم كان في ذلك تسلية لهُ وتطييب من خاطره ودفع لما يمكن ان يترتب على التكذيب من المعرَّة والتنقص والفرق بين البيت و بين الآية ان مضمون الجزاء في الآية من نوع مضمون الشرط حقيقة اما في البيت فعلى سبيل الادّعاء كما لا يخفى على المتأمل

( ثالثاً ) للحث على الجزاء . وفي هذه الحالة يكون فاعل الشرط والجزاء واحداً متحقق الاتصاف بمضمون الشرط كقول الواعظ «ايها الاخوة او ايها السامعون ان كنتم تحبون الله فاحسنوا الى عياله » اي لا يتحقق عندي انكم تحبون الله الاَّ ان تحسنوا الى عياله وعليه الآية « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون » اي لا يصح عندي انكم تعبدونه وحده الاَّ اذا اكلتم الحلال واظهرتم الشكر اما انه للحث على الجزاء فاوضح من ان يوضح وقد قال الامام جلال الدين السيوطي في اتقانه ان الغرض من الشك هنا التهييج والالهاب . ونحن نقول ان الغرض من ايهام الشك هنا التهييج والالهاب

( رابعاً ) للتكذيب . وظاهر الشرط والجزاء فيه شبيه به في الحث على الجزاء والفارق بينهما ان فاعل الشرط متصف به حقيقة في الحث ويدعي الاتصاف به في التكذيب مثاله الآية « قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين » وهم لا يتمنونه وهو الدليل على كذب مدعاهم وقوله ايضاً « وقالوا لن يدخل الجنة الاَّ من

كان هوداً او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » ولا برهان لهم فبطل مدعاهم وظهر عدم صدقهم

( خامساً ) التعجيز او التهكم او الاستخفاف وهي معانٍ متقاربة يدرك الفرق بينها بحسن الذوق وصورها وان تكن قريبة من صورة التكذيب الاَّ انه لا تخفى على اللبيب التمييز بينها وبينه باختلاف المقامات والاعتبارات ومن امثلتها الآيات الآتية

« لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين » « اسقط علينا كسفاً من السماء ان كنت من الصادقين » « قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين » « قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون » « ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين »

ومن امثلته في الكلام المتعارف قولك للمفتخر بعلمه على سبيل التعجيز كسراً من سورة فخره « ان كنت عالماً مجرباً فاذكر لنا في علاج الجذام غير ما ذكره ابن سينا ان كنت من البارعين » فانك قد لا تنكر علمه ولا تجربته ولا براعته انما اردت تعجيزه كسراً من حدة فخره وتقول للجاهل او للاحمق المدعي بالطب وانه وقف فيه على اقوال الاقدمين تهكماً واستخفافاً « اي فلان افدنا بما قاله بقراط في الحمى وعلتها ان كنت من الدارسين المحققين » فانك لا تشك بعدم تحقيقه ودرسه انما اوهمت الشك تهكماً واستخفافاً وهكذا

(سادساً ) للتوبيخ . وذلك فيما اذا كان ظاهر حال المخاطب مخالفاً لمقتضى علمه بمضمون الشرط كقولك للمتكبر « يا هذا ان كنت من تراب

فلا تفتخر» وهذه الجملة يصح فيها ان تكون من قبيل الشرط الملازم اذا ارسلت على سبيل الحكم التعليمي ولم يرد بها مخاطباً بعينه فاذا خصت بمتكبر معين كانت من قبيل الشرط المنفك وكانت (ان) مستعملة فيها لايهام الشك توبيخاً للمخاطب على كبريائه فقس عليها امثالها كقولك لمن يؤذي اباه «ان كان هذا اباك فالاولى بك احسان معاملته»

(سابعاً) للاعتذار . كأنَّ المخطئ يكره الاقرار بخطأه صراحة فيصانع عن ذلك (بان) والشرط كقول المعتذر «ان كنتُ فعلت هذا فعن خطاءٍ» وعليه قول المتنبي

ان اكن قبل ان رأيتك أخطا ت فاني على يديك أتوب

(ثامناً) للتجاهل . كجواب الخادم وقد سألته عن مولاه افي غرفته هو ام لا فيقول لك «ان كان فيها اخبرتك» فانه ان قال لك هو في غرفته خاف ملامته فيما بعد او قال ليس فيها فكذلك فيصانعك بايهام الشك الى ان يقف على ارادة مولاه وكقول تلميذ مدرسة لرفيقه في كتاب يعلم انه في غنىً عنه «ان كنت في غنىً عن كتاب كذا فاعرني اياه» فان خوفه من قبح الرد يحمله على هذا التجاهل وايهام انه شاك وليس به شك وهذا كثير في أنواع المخاطبات والمكاتبات وربما يعد منه قول المتنبي

ان كنت ظاعنة فان مدامعي تكفي مزادكم وتروي العيسا

بناءً على انه كان متحققاً عنده ظعنها الاَّ انه اوهم الشك وتجاهل مخافة ان ترد عليه فيما لو صرَّح ما لا يرضي من الجواب كأن ترفض ما عرضه

عليها في الجزاء وهذا النوع كثير في المخاطبات دائرة فيها على الالسنة كما لا يخفى

( تاسعاً ) لمجاراة الخصم في مناظرة وشبهها وعليه قول ابي العلاء

زعم المنجم والطبيب كلاهما أن لا معاد فقلت ذاك اليكما
ان صح قولكما فلست بنادم أو صح قولي فالوبال عليكما

فانه معتقد عدم صحة قولهما ومعتقد صحة قوله ايضاً الاَّ أنه اوهم انه شاك مجاراة لما في معالنتهما بفساد قولهما وصحة قوله من التنفير وتهييج روح المقاومة وعدم التسليم ويلحق بهذا الباب ايهام الشك بصحة قضية لا ثباتها من وجهة اخرى كما في البرهان غير المستقيم وهو كثير في الهندسة كقولك مثلاً « ضلعان من مثلث هما معاً اطول من ضلعه الثالث والاَّ فالخط المستقيم ليس هو اقرب بعد بين نقطتين »

( عاشراً ) عدم معالنة المخاطب بثبوت ما يعتقده من الشرط لان في معالنته ما يدعو الى شدة اصراره وتمسكه بمعتقده والمقصود ازالته عنه ببيان ما يدل على خطاه . وهذا قريب من الغرض التاسع الا انه في غير مناظرة ولا على صورة برهان واوضح ما يستشهد له به الآية « وان كنتم في ريب مما نزَّلنا على عبدنا فأْتوا بسورةٍ من مثله » فان ريب المخاطبين واقع لا شك فيه الا انه اوهم الشك بوقوعه وهذا مما يدعوهم الى التساؤل في انفسهم عن سبب الشك فيما هم قاطعون به فتعظم رغبتهم في ايراد السبب لينظروا في صحته وذلك ادعى للتسليم والتنزُّل عما هم فيه وتحرير القول في الآية « اني اشك بكونكم مرتابين ( لعدم الموجب له ) فان ثبت فانا

ادلكم على ما يزيله او يحملكم على التمسك به وهو ان تأتوا بسورة من مثله فان اتيتم بمثله فلكم ان تبقوا على ريبكم وان عجزتم ففي ذلك دليل على عدم صحة ما يحملكم على الريب » ولا شك ان هذا كلام منصف ومساقه على هذا الاسلوب مما يدعوهم الى التجربة وفي التجربة ونقاصرهم كل مرّة عن الاتيان بمثله اكبر دليل على فساد رأيهم ان كانوا يعقلون . فهذا ما اراه في (ان) واستعمالها ايهاماً للشك فليقابل على ما ذكره البيانيون وما تكلفوه في تطبيقها على حقيقة الشك وفوق كل ذي علم عليم

## في الجملة الاسمية

﴿ اعني جملة المبتدا والخبر على العموم ﴾

﴿ في المبتدا والفرق بينه و بين الفاعل ﴾

قد علمت ان المسند اليه عند البيانيين يطلق على المبتدا والفاعل بالاشتراك الاّ انا ميزنا احدهما عن الآخر لسهولة البحث ونزيدك هنا وان كنت تعلم انّ الفاعل لا يكون في الاسناد الذي هو حقيقة عقلية الا ما قام به الفعل او معناه نحو « قام زيدٌ ونام ومرض واكل وشرب الخ » واما المبتدا فقد يكون ما قام به الفعل نحو « زيدٌ نام وقام واكل وشرب الخ » وقد يكون ما وقع عليه الفعل نحو « زيدٌ رأيته واكرمته » وقد يكون غير ذلك نحو « زيد قام ابوه واحببت اخلاقه » وبالجملة ان الفاعل لا يُسند اليه الا فعله او معناه بخلاف المبتدا فانه يصح ان يُسند اليه ما لابسه او تعلّق به

بوجهٍ من الوجوه كما مرَّ بك من الامثلة

بقي فرق اخر بين المبتدا والفاعل وهو ان المقصود اولاً في جملة المبتدا والخبر انما هو المسند اليه فكانما الذهن ينظر اليه اولاً ثم الى مالابسه من من الخبر ولذلك كان لفظه مقدماً طبعاً على الخبر فلا يتأخر الا لغرضٍ مما سنذكره . وقد لحظ النحاة هذا المعنى فقالوا من ثم ان رتبة المبتدا التقديم لانه محكوم عليه والمحكوم عليه قبل الحكم بخلاف جملة الفعل والفاعل فان المقصود فيها اولاً انما هو المسند اي الفعل مضافاً اليه الفاعل ثم مالابسه من بقية متعلقاته ولهذا لايقدم الفاعل على الفعل اصلاً لئلا يلتبس بالمبتدا في انه هو المقصود اولا ولا يجوز ان تتقدم عليه بقية متعلقاته الاَّ لغرض وقد ابناً ذلك فيما مرَّ بك في الكلام عن الجملة الفعلية

## ﴿ في الخبر واقسامه ﴾

الخبر هو المسند الى المبتدا او المحكوم به عليه ويقسم الى قسمين مفرد وجملة والجملة تقسم الى اسمية وفعلية . ثم المفرد لا يخلو اما ان يكون مكاناً للمبتدا او زماناً له او صفة من صفاته او موصوفاً والموصوف اما ان يكون نفس المبتدا في المعنى او غيره يقصد تشبيه المبتدا به فصارت جملة الاقسام سبعة واليك هي

(١) زيد عندك ام في بيته

(٢) الاجتماع الآن او غداً او في الشهر القادم

(٣) زيد اخوك . رأس الحكمة مخافة الرب . الانسان حيوان ناطق

( ٤ ) زيد أبوه · ابو يوسف ابو حنيفة اي زيد كأبيه وابو يوسف كأبي حنيفة

( ٥ ) زيد عالم · قائم · مؤمن · ذكي · شجاع الى آخره

( ٦ ) زيد لسانه فصيح · زيد نفسه طامحة الى المعالي · الكريم نفسه تطمح الى المعالي · ( ٧ ) المال يعز الذليل والفقر يذل العزيز

فاذا تاملت الجمل المذكورة اعلاهُ وانتبهت لما في محفوظك من استعمالات اللغة علمت ان الاسناد الى المكان كما في الجملة الاولى يدل اقتضاءً على زمن الحال وان الاسناد الى اسم الزمان كما في الثانية يدل الموضوع منه للحال على زمن الحال والموضوع للمستقبل على زمن الاستقبال فاذا اردت زمن الحال او الاستقبال في الاسناد الى اسم المكان او الماضي في الاسناد الى اسم الزمان فلا بد من ذكر الفعل الدال على الزمان المقصود نحو كان وسيكون زيدٌ في بيته وكان الاجتماع البارحة · واما الاسناد في المثال الثالث فاذا أُخذ على اطلاقه خلوًا من سائر الاعتبارات وجب تجريده من كل ما يدل على زمان وسببه ان المقصود من الاسناد في قولنا « رأس الحكمة مخافة الرب » و « الانسان حيوان ناطق » هو ان المفهوم من المسند اليه والمفهوم من المسند يوجد احدهما مع وجود صاحبه مطلقًا لانهما شيءٌ واحد فذكر ما يدل على الزمان اذن من قبيل العبث وهو لا يخفى على متامل واما المثال الرابع فدال على التشبيه ولذلك فهو من قبيل اسناد الصفة على ما في المثال الخامس ولنا في الصفة ودلالتها على الزمان كلام اليك هو

## ﴿ في ماهية الصفة ودلالتها ﴾

الصفة ما اشتقت لما قام به او وقع عليه الفعل وهي تدل على ذات عامة وحدث عام بينهما علاقة ما فهي من حيث دلالتها على الذات تتصل بالاسماء فتنوب منابها نحو « فانه يشرق شمسه على الاشرار والصالحين ويمطر على الابرار والظالمين » او تنعتها وهو كثير نحو « رجل كريم » او تسند اليها نحو « زيد قائم » ومن حيثية دلالتها على الحدث تتصل بالافعال فتسند الى الاسماء نظيرها نحو « زيد قائم » وتتقيد بزمان او مكان او سبب او فاعل نحو « اذاهب الزيدان اليوم الى بيروت لزيارة صاحبها » وغير هذه من القيود التي يتقيد بها الفعل كالمفعول المطلق والمفعول له كما لا يخفى

قلنا ان الصفة تدل على ذات عامة وحدث عام بينهما علاقة ما وتلك العلاقة انما هي علاقة التلبس اي اجتماعهما معاً فاذا تقدم على الصفة ذات اخرى مساوية للذات المدلول عليها بها في التعريف والتنكير كانت تلك الذات المتقدمة مفسرة للذات العامة في الصفة ويستغنى بها عن تقديرها ( اعني العامة ) ثانية نحو « رجل كريم » او « الرجل الكريم » فان ( رجل ) هنا فسرت الذات العامة في الصفة ( كريم ) ونابت منابها في التلبس بالحدث . واما اذا ذكر معها ذات اخرى معرفة او نكرة مخصصة نحو « زيد قائم » و « الرجل مسافرٌ » كانت الذات العامة في الصفة مسندة اليها اسناد العام الى الخاص اي « زيد ذات قائم » و « الرجل ذات مسافر » على حد قولنا « زيد رجل صالح » والانسان حيوان ناطق

## ﴿ دلالة الصفة على الزمان ﴾

لادلالة للصفة في اصل الوضع على الزمان اصلاً شأن سائر الاسماء الاَّ ان تلبس الذات بالحدث واجتماعهما معاً لا بد له من زمان واذا لم يكن فى الجملة ما يدل على نوع الزمان تعين زمن الحال الذي هو اصل الزمان باعتبار ان الماضي والمستقبل متفرعان عنه لا نهما يدركان باعتباره فضلاً عن ان تلبس الذات بالحدث الذي هو من مدلول الصفة لا يمكن ادراكه واقعاً فعلاً الاَّ في زمن حال وعليه فقولنا « زيد قائم » انما هو في الاصل اخبار من مشاهد وهو متقدم على الاخبار بقولنا « كان زيد قائماً » « وسيكون زيد قائماً » فانك مالم تدرك اوّلاً قيام زيد واقعاً في المشاهد لا يصح لك ولا يمكن الاخبار عنه بصورة كان او سيكون زيد قائماً والاخبار في كلا الجملتين الاخيرتين انما هو اخبار عن صورة في الذهن منشأُها عن صورة في الخارج شوهدت في زمن حال اوّلاً

والخلاصة ان الزمان المدلول عليه بالصفة المسندة انما هو في الاصل زمان الحال لا غير ولا دلالة لها على الماضي ولا على المستقبل اصلاً · ولنا على ذلك برهان لغوي نذكره تنبيهاً لخاطر المطالع فنقول

لا يخفى ان الفعل الماضي يتقيد مع دلالته على الماضي بقيود كالامس والبارحة ومنذ يومين او اسبوعين وهلمَّ جرًّا وهذه القيود لاتجوّز اللغة استعمالها مع الصفة اصلاً فلا تقول زيد قائم البارحة ولا زيدٌ عالم الاسبوع الماضي وهو ظاهر ولو كان للصفة دلالة بالوضع على الماضي كالفعل ما امتنع ان تقيد بما يقيد به من اسماء الزمان كما مر · ومثل ذلك الفعل المضارع في

دلالته على الزمان المستقبل فانه تدخل عليه ادوات منها افعال كافعال المقاربة والرجاء ومنها حروف ايجاب كالسين وسوف او نفي كان فان هذه تدخل على المضارع فتقول « زيد كاد او عسى ان يقوم » و « زيد سيقوم او سوف يقوم » و « ان يقوم » بخلاف الصفة فانه معلوم ان هذه الادوات لا تدخل عليها اصالةً فلا يقال « زيدٌ كاد قائمًا » ولا « سوف قائم » الخ ولو ان للصفة دلالة كدلالة المضارع على الاستقبال ما امتنع دخول هذه الادوات عليها

بقي انها اي الصفة تدل على الحال لكن لا ينبغي ان تلتبس دلالتها بدلالة المضارع وذلك لانها اي الصفة تدل على التلبس بالحدث فعلاً والمضارع على ابتدا التلبس به ايضاحًا للحال واستحضارًا لتلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها تقع فعلاً وذلك ظاهر من ابسط امثال اللغة كقولك « رأيت زيدًا واقفًا على قدميه » و « رأيته يقف على قدميه » فان مدلول الكلام الاول ان زيدًا كان متلبسًا بالوقوف على قدميه عند رؤيته فلم يرَ الا واقفًا عليهما بخلاف مدلول الكلام الثاني فانه يدل على ان الوقوف لم يكن حاصلاً انما كان آخذًا في الحصول ولذلك تدخل افعال الشروع كأخذ وابتدأ وشرع على المضارع فيقال « اخذ زيد يكتب وابتدأ يقرأ وشرع يتكلم » ولا تدخل على الصفات اصلاً فلا يقال « ابتدأ زيد ما شيًا » ولا « اخذ متكلمًا » . وهذا الفرق بمكان من الاهمية فلا يذهب عنك تذكره ولمزيد تقريره نقول لك ان الصفة لابد معها بحسب اصل وضعها من الدلالة على التلبس بحدثها والاتصاف به فعلاً في زمن الحال بخلاف دلالة المضارع فانها على ابتداء وقوعه فتامل

## ﴿ الصفة تدل على الازمنة الثلاثة بالاستمرار ﴾

## ﴿ فمن اين جاءت لها هذه الدلالة ﴾

اعلم ان هذه الدلالة ليست من اصل وضع الصفة انما هي دلالة خارجية عقلية مستفادة من المشاهدة والاختبار ولذلك كان الفعل يدل عليها ايضاً فاننا نعلم بالاختبار والمشاهدة ان بعض الصفات لم يعرف عنها الا انها مقارنة لموصوفاتها كارتفاع لبنان مثلاً وانخفاض وادي قنوبين . ونعلم ايضاً ان بعض الصفات اذا اقترنت بموصوفاتها استمرّت على ذلك الى ما شاء الله كخشونة هذا الحجر وملاسة ذاك واستدارة هذا وتربيع ذاك وطول هذا وقصر ذاك الخ في الذوات وكالجود والبخل والحمق والحلم والفطنة والغباوة الخ في المعاني فان جميع هذه الصفات وامثالها اعني التي لا تفارق محلاتها بعد اذ تتصف بها او التي لم تدركها الا متلبسة بموصوفاتها هي اذا اسندت الى ما يليق بها « نحو زيدٌ جواد حليم » و « هذا الجبل مرتفع » دلت على استمرار الاتصاف وتناولت الازمنة الثلاثة من غير تقييد بل تقييدها حينئذٍ من باب العبث لانه تحصيل للحاصل ولذلك فلا تجوزه اللغة ولا يجري على السنة المتكلمين بها الاّ لغرض كاحضار الازمنة الثلاثة قصداً لدى الذهن كقولك كان ويكون وسيكون زيدٌ شريفاً

وهنالك صفات اخرى غير التي ذكرناها وهي تقتضي بطبعها التجدد فتفارق موصوفاتها بعد ملابستها لها كالقيام والقعود واليقظة والمنام والضرب والقتل وسائر الصفات الاخرى التي يشاهد تعديها من فاعلها الى

مفعول به فهذه جميعها لا تدل الاّ على الاتصاف نحو « زيد قائم وواقف وجالس » وهذا اظهر من ان يوضح الاّ ان بعضها كاليقظة مثلاً مما يشاهد استمرارها لكن الى مدة لا تتجاوز المفهوم من زمن الحال بحسب المتعارف ( لا بحسب المفهوم منه عند الفلاسفة والمتكلمين ) قد تدل على الاستمرار نحو « زيد مستيقظ » لكن بين الاستمرار المفهوم منها وبين الاستمرار المفهوم من اسناد العلوّ الى لبنان مثلاً فرقاً ظاهراً يدركه العقل عند اقل تأمّل واستعمال اللغة يفرق بين هذين الاستمرارين وذلك ان الاستمرار المفهوم من اسناد العلو الى لبنان يؤدي بصريح الفعل المضارع كما يؤدي بالصفة بخلاف اليقظة فان استمرارها لا يلمح الاّ بالصفة المسندة دون الفعل ومثاله انك تقول « ولما قاربنا شطوط بيروت نظرنا فاذا لبنان يعلو من ورائها الى الوف من الاقدام » فتفهم الاستمرار من لفظ الفعل ( يعلو ) ولكنك اذا قلت مثلاً « ولما دخلنا فسحة الدار نظرنا فاذا زيد يستيقظ » لم يفهم من الفعل استمرار اليقظة لزيد اصالة انما يفهم منه ابتداء تلبسه بحال اليقظة لا غير كما لا يخفى فلا يذهب عليك الفرق بين الاستمرارين وموجبه في الخارج فانه ظاهر للمتامل

﴿ الصفة تدل اقتضاءً على التلبس او الاتصاف بما له علاقة ﴾
﴿ بالحدث المشتقة هي منه لا بالحدث نفسه كالقصد ﴾
﴿ والاستعداد والقدرة والتقدير والامكان ﴾
﴿ وما في معنى ذلك كالعادة اومايقرب منها ﴾

علمت مما مرَّ ان مدلول الصفة واقع بخلاف مدلول المضارع فانه أما في حال الوقوع او انه سيقع وعليه فاذا فهم من الصفة اقتضاءً عدم الاتصاف بالحدث اوالتلبس به فعلاً فلا بد من دلالتها على التلبس بشيءٍ والاتصاف به مما له تعلق بالحدث والاَّ خرجت عن اصل دلالتها وهذا الشيء انما هو القصد اوامرٌ آخر من الامور التي ذكرناها اعلاه واليك شواهد اللغة على ذلك

قال ابن الاثير ( وجه ٣٢٧ طبعة بولاق ) « ومما اطربني من ذلك حديث الحديبية وهو انه جاء بديل بن ورقاء الخزاعي الى النبي صلعم فقال له اني تركت كعب بن لؤي بن عامر بن كعب ( اي اهل مكة ) معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت » والشاهد في قوله ( وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ) فان التلبس او الاتصاف بالمقاتلة والصد لم يكن حاصلاً لهم بعد فلا بد اذن من اتصافهم اي ( اهل مكة ) بما له تعلق بالمقاتلة والصد وهو هنا القصد والاستعداد لذلك بدليل ان معهم العوذ المطافيل جرياً على عادة العرب اذا ارادوا القتال ولو ابدلت جملة الشاهد بقولنا ( وهم قاصدون قتالك وصدك عن البيت ومستعدون

له ) لكان منطوق العبارة هذه مساوياً لمفهوم تلك كما لا يخفى على من تدبر

ومثل ذلك ورد قول الاعشى في اعتذاره الى اوس بن لام عن هجائه اياه وقد اثبتنا مع بيت الشاهد غيره لما فيها من المعاني الشريفة في الالفاظ الخفيفة قال

واني على ما كان مني لنادم  واني الى اوس بن لام لتائب
واني الى اوس ليقبل عذرتي  ويصفح عني ما حييت لتائب
فهب لي حياتي فالحياة لقائم  بشكرك فيها خير ما أنت واهب
سأمحو بمدح فيك اذ أنا صادق  كتاب هجاء سار اذ انا كاذب

ولا يخفى ان دلالة الصفات ( نادم ) و ( تائب ) و ( راغب ) و ( صادق ) و ( كاذب ) جارية على اصلها من التلبس بالندم والتوبة الخ لانها كلها اعني الندم والتوبة الخ واقع الاتصاف بها وبيت الشاهد هو الثالث فان القيام بالشكر غير حاصل والشاعر لم يكن قد تلبس به بعد بل الحياة التي يكون فيها الشكر لم تكن بعد وقعت فهو يطلبها منه ليقوم بشكره فيها فاذن المراد بقائم اقتضاء قاصد القيام ولو قلنا « فهب لي حياتي فالحياة لقاصدٍ القيام بشكرك فيها خير ما انت واهب » لاستوى مفهوم المنطوق في العبارة بمفهوم المدلول في البيت

وعلى هذا النحو ورد قول الفرزدق فجاءت الصفة في كلامه دالة على الاقتدار والاستعداد قال

صجنام الشعث الجياد كانها قطا  هيجته يوم زيح اجادلُهْ

الى كل حي قد خطبنا بناتهم  بارعن جرّار كثير صواهله
اذا ما التقينا الكحنا رماحنا  من القوم ابكارًا كرامًا عقائله
وانا لمناعون تحت لوائنا  حمانا اذا ما عاذ بالسيف حامله

والشاهد في البيت الرابع في قوله ( وانا لمناعون تحت لوائنا الخ ) فان المفهوم من الصفة ليس تلبسهم بالمنع وانه واقع فعلاً بل قصد الشاعر الى ان يفهم انهم مقتدرون على المنع و بذلك حاصل تلبسهم لما عندهم من اسباب ذلك من الخيول السريعة وكثرة العدد والعُدد على ما وصف في الابيات المتقدمة على بيت الشاهد . ولاقتدارهم على المنع بما عندهم من اسبابه الملازمة جاء بصيغة المبالغة ايضًا ليدلَّ على ان اقتدارهُ على المنع لا يكون لهم لمرة بل لمرّات كلما دعا داع لذلك

ومثله في دلالة الصفة على القدرة قول عمرو بن كلثوم في معلقته

وقد علم القبائل من معدّ  اذا قببٌ بابطحها بنينا
بأنا المطعمون اذ قدرنا  وانا المهلكون اذا ابتلينا
وانا المانعون لما اردنا  وانا النازلون بحيث شينا
وانا التاركون اذا سخطنا  وانا الآخذون اذا رضينا
وانا العاصمون اذا أُطعنا  وانا العازمون اذا عصينا

فان دلالة الصفة على القدرة في اكثر هذه الابيات مما لا يحتاج لزيادة ايضاح الا المطعمون في البيت الثاني فان دلالتها على العادة اظهر من دلالتها على القدرة كما يبين لك ذلك عند التأمل

ومن امثلة دلالتها على العادة على ما ارى قول الاخطل

ملطمون بأعفار الحياض فما  ينفك من دار مي فيهم أثر

وقول المتنبي

فيا ابن الطاعنين بكل لدنٍ  مواضع يشتكي البطل السعالا
ويا ابن الضاربين بكل عضبٍ  من العرب الاساقل والقلالا

اي معتادون ان يلطّموا ويا ابن المعتادين الطعن والضرب واما دلالتها على التقدير (من قدر الله الشيء) فكقول البحتري

هل الشباب ملم بي فراجعة  أيامه لي في أعقاب ايام

فانه لا يسأل عن اتصاف الشباب بالالمام به ولا عن اتصاف ايامه بالرجوع له انما هو يسأل عما اذا كان ذلك مقدراً له او عن إمكانه لكن لما كان ذلك مما يعلم عدم امكانه انقلب الاستفهام الى التمني وهو ظاهر وكذلك ورد قول احد العراقيين

وعما قليل انت لا شك صائرٌ  الى ما لك فافطن لما أنا قائل

اي مقدرة لك الصيرورة الى ما لك عما قليل . ومالك الملاك الموكل بالنار ومنه كل من عليها فانٍ فان اتصاف كل من عليها بالفناء ليس بواقع فعلاً والواقع فعلاً اتصاف كل من عليها بامكان الفناء او انه مقدر عليه ذلك والامثلة على كل ما ذكرنا كثيرة لا تخفى على من توجه نظره لملاحظتها في كلام الفصحاء واشعارهم والله اعلم

## ﴿ ملاحظات مبنية على ما مرّ ﴾

(١) استعمل الافعال والصفات في مواقعها اللائقة بها فان كان مرادك الاتصاف فالصفة اولى وان تصوير الفعل وظهور نتيجته فالمضارع

اولى كقولك « العلم مهذب الطباع » اي متصف بصفة هذا شانها فان اردت الى ظهور نتيجته فقل « العلم يهذب الطباع »

( ٢ ) الصفات الثابتة لموصوفاتها لا تعلمها الاَّ كذلك والصفات التي اذا تلبست بموصوفاتها لا تفارقها الاَّ لسبب كالصفات الدالة على السجايا والاخلاق وما في معناها جميع هذه لا تستعمل افعالها الاَّ مقيدة بقيد لائق بها و وقوعها في النفي اكثر مما في الاثبات واوقع في النفس فتقول مثلاً « جبل عال » و « زيد سمح شجاع عفيف متواضع حليم صبور ذكي فطن سيد الخ » لا ( جبل يعلو ) و ( زيد يسمح ) و ( يشجع ) الاَّ مع قيد لائق كأن تقول في الاثبات « جبل يعلو كذا قدماً عن سطح البحر » و « زيد يسمح بماله في بناء المجد و يشجع اذا جبن من سواه » وهكذا واما في النفي فكأن تقول « لا يشجع المرء الاَّ لسبب ولا يجبن الاَّ لسبب ولا يذكو العقل الاَّ مع التهذيب ولا يحلم الجاهل الا عن عجز ولا يتواضع الاَّ عن خوف » وكقولهم « الحسود لا يسود والكريم لا يبخل والحكيم لا يسرف ولا يشتط والمؤمن لا يقنط من رحمة ربه » وهلمَّ جرًّا والمنظور اليه مع الفعل على ما ارى انما هو الى المظاهر المترتبة في الخارج اعني الى ظهور الفعل او ظهور نتيجته فان مفهوم جملة ( لا يذكو العقل الا مع التهذيب ) مساوٍ لمنطوق جملة ( لا يظهر ذكاء العقل الا مع التهذيب ) فقس عليه

( ٣ ) ما اقتضى حركة او تقلباً او انتقالاً فالفعل اولى بالدلالة عليه من الصفة كقولك « رأيت البحر تضطرب امواجه ويلاطم بعضها بعضاً » و « الاغصان تتمايل والماء يجري او يتسلسل » و « نظرت زيداً يجول في

البستان و يركض على الطريق و يرقص و يدور وسمعته يتكلم و ينشد ومرَّ تفوح منه رائحة المسك ويسحب اذياله مرحاً و يرفل بالدمقس » الى غير ذلك من الامثلة

واذ فرغنا الان من دلالة الصفة فلننظر في دلالة الجملة الاسمية الواقعة خبراً على ما في القسم السادس من اقسام الخبر ثم في دلالة الجملة الفعلية على ما في القسم السابع

## ﴿ اسناد الجملة الاسمية الى المبتدا ﴾

زيدٌ لسانه فصيح

لا يخفى ان التبديل ممكن في صورة هذه الجملة مع بقاء المعنى على حاله فنقول

( ا ) زيد لسانه فصيح او

( ب ) زيد فصيح اللسان او

( ج ) لسان زيد فصيح

الا ان المثال الاول من قبيل الاخبار بالجملة بخلاف الثاني والثالث فانهما من قبيل الاخبار بالصفة وقد مر بك الكلام في دلالة الصفة فان قلت فمتى تستعمل احدى هذه الصور الثلاث دون الاخرى قلت ذلك امر يرجع الى ذوق المتكلم وما يراه من الاعتبارات اللفظية السابقة واللاحقة فان اراد السجع فربما اختار الثانية فقال مثلاً « زيد فصيح اللسان ثبت الجنان وواسطة عقد هذا الزمان » او غيره فغيرها على ما يحلو له

وهذا مما لايقع تحت حصر لاختلاف المقامات والاغراض في الكلام والبحث فيه ضرب من التطويل فلنرجع الى غرضنا من البحث عما في اسناد الجملة الاسمية الى المبتدا من الاعتبارات المعنوية واول ما ننظر فيه تخريج الاعراب ولم اعلم من نقل في ( زيد لسانه فصيح ) غير وجهٍ واحد وهو ان زيدٌ مبتدا ولسانه مبتدا ثانٍ وفصيح خبر عن المبتدا الثاني والجملة خبر عن زيد مع انه لا مانع اصلاً من اعراب ( لسانه ) بدلاً من ( زيد ) . وسواء جرينا على اعراب المعربين او قلنا بالبدل فالغرض منصبٌ الى اللسان والمراد تقريره في الذهن مضافاً اليه حكمه وهو الفصاحة وتعليله العقلي على ما ارى انه عند ذكر زيدٍ ( وزيدٌ معرفةٌ ) يتنبه العقل الى احضار صورته في الذهن مع مشخصاتها ويتهيا لما يراد نسبته اليها فاذا ذكر لسانه انصرف الذهن اليه دون بقية المشخصات وعلم ان الخبر منصرف اليه خاصة وفي ذلك من التقرير وانصباب الغرض الى اللسان ما لا ينكره الاَّ المتعنت وهذا الاعتبار لا يؤدى على اوضح صورة واقربها للطبع الاَّ بالصورة الاولى

ويمكننا التعليل ايضاً بعبارة اخرى والمآل واحد فنقول اننا ابتدأنا بزيد اولاً فاحضرناه مع اهم مشخصاته في الذهن ثم اخذنا اللسان من بين تلك المشخصات وابتدأنا به ثانية ثم صرفنا اليه الخبر فالغرض اذن منصبٌ الى اللسان وتقريره في الذهن وهو واضح فقس عليه غيره من الجمل كقولنا « زيدٌ نفسه طامحة الى العلا » وامثالها من الجمل الاسمية المسندة الى المبتدا

## ﴿ اسناد الجملة الفعلية الى المبتدا ﴾

( المال يعزُّ الذليل ) . وهذه الجملة يمكن ان يعتبر فيها عدة اعتبارات منها انا احضرنا صورة المال في الذهن وفكرنا في فوائده او خصوصياته المسلمة عند الجمهور فوجدنا منها انه يعزُّ الذليل ودليله انه يمكنا عطف خصوصياته الاخرى التي نعلمها على الفائدة المتقدمة ولا يلحظ السامع في ذلك نبوة ولا خروجاً عن المألوف من سلسلة الافكار الطبيعية نحو « المال يعزُّ الذليل ويرفع الوضيع وينوّه بالخامل ويجل لسان الالكن » الخ

ومنها انا فكرنا في زيد وعمرو وبكر وغيرهم ممن كانوا اذلاء فعزوا فرأينا المال سبباً في اعزازهم فبنينا على ذلك حكماً عاماً يتناول جميع الازمنة الا ان الزمن الماضي منظور اليه من حيث كان سبباً لبنيان الحكم والمستقبل من حيث انه تظهر فيه نتيجته تحقيقاً لعدم تخلف المسبب عن السبب ولما كان المهم معرفة عدم تخلف الحكم في المستقبل لا جرم أتينا بصورة المضارع كما ترى وهذا الاعتبار ملحوظ في كل ما كان من الجمل على هذا النحو نحو « الابن الحكيم يسرُّ اباه والابن الجاهل يحزن امه » و « الجواب اللين يصرف الغضب والكلام الموجع يهيج السخط » و « لسان الحكماء يحسّن المعرفة وفم الجهال ينبع حماقة » و « الذكي يبصر الشر فيتوارى والحمق يعبرون فيعاقبون » و « الهدية في الخفاء تفثأ الغضب والرشوة في الحضن تفثأ السخط الشديد » الخ ومثل هذا قولك « الماء يتألف من عنصرين » فانه حكم عام يتناول جميع الازمنة الاّ ان الماضي منظور فيه الى التجربة التي اثبتت صحة هذا الحكم واما المستقبل فالى ان الحكم ثابت

فيه تظهر صحته كلما تكرّرت التجربة ولهذا يصح لمن يقول هذه الجملة ان يردفها بقوله « وقد اثبت العلماء بالامتحان صحة هذا الحكم ويمكنك الان تحقيقه بالتجربة الآتية »

ومما قد يصح اعتباره في مثل هذه الجملة ايضاً القصر إما الحقيقي على سبيل المبالغة او الاضافي على سبيل القلب او التعيين وعليه فيصح فيها ان تردف بقولنا ( لا غيره ) او ( لا كذا ) نحو « المال يعزُّ الذليل لا غيره » او « المال يعزُّ الذليل لا عشيرته » وسيأتي معنا الكلام في القصر واحكامه مفصلاً

ومما يصح اعتباره ايضاً الاختصاص وهو عبارة عن اثبات الحكم او نفيه عن المخصوص بقطع النظر عن غيره لمزية فيه اي المخصوص توجب التفات الذهن اليه وعليه فاذا كان المراد اعتبار الاختصاص في جملة المال يعز الذليل كان المعنى اثبات اعزاز الذليل للمال بقطع النظر عن غيره من الاسباب الاخرى كالعلم والعشيرة والتقرُّب من ذوي السلطة والوجاهة فان جميع هذه لا يراد نفي الحكم عليها بالاعزاز عند ارادة الاختصاص انما يراد صرف الذهن عنها لحصول الاستغناء عنها بالمال وسيأتي لنا كلام في الاختصاص والفرق ما بينه وبين الحصر إن شاء الله

## تنبيهات

### اولاً

اعلم ان الماضي اذا وقع خبرًا نحو « المال أعزّ زيداً » جاز لنا ان نعتبر معه ما اعتبرناه مع المضارع من القصر والاختصاص الاّ ارادة الحكم

العام فانه لايستعمل بهذا المعنى على ما يشهد به حسن الذوق والبلغاء لا يقولون « المال اعز الذليل » تصويرًا لهذا الحكم الكلي اصالة نعم يقولون في سياق البرهان مثلاً « واذا تحقق ان المال اعز الذليل في الماضي كان لنا ان نحكم انه يعزه الآن والى ما شاء الله » فتامل

## ﴿ الثاني ﴾

الصفة ادل على التحقق من المضارع لانها تدلُّ على الاتصاف اما بسبب الحدث او بما له تعلق به كالقصد وغيره مما مرَّ بك وعليه فقولنا « العلم مهذب الطباع » ادلُّ على التحقق من قولنا العلم يهذب الطباع لاعتبارنا اتصافه بخاصة او سبب من شأنه التهذيب في المثال الاوَّل ومجرَّد الحكم بحصول التهذيب في الثاني ولا يخفى ان اقتران الحكم بما يشير الى سببه ادلُّ على تحقق وقوعه من ارساله بدونه . وأما قوله « وهم مقاتلوك وصادوك » فواضح انها ادلُّ على التحقق من قوله « وهم سيقاتلونك ويصدونك » لدلالتها على الاتصاف بالقصد والاستعداد كما علمت ذلك فيما مرّ

## ﴿ الثالث ﴾

الماضي ادل بطبعه من المضارع على تحقق الوقوع والمضارع ادل بطبعه من الماضي على استمرار الوقوع او تجدد حدوثه . والمضارع ايضاً يلمح بطبعه الى الزمان الماضي ويدل عليه اكثر مما يلمح الماضي الى زمان الحال او المستقبل ويدل عليه . وعليه فقولك « زيد احسنَ الى الفقراء » ادل

على التحقق من قولك « زيد سيحسن الى الفقراء » الا ان استمرار تجدد حدوث الفعل مدلول عليه بلفظ ( يحسن ) اكثر كثيرًا مما بلفظ ( احسن ) وفضلاً عن ذلك انه يفهم من لفظ ( يحسن ) كونه قد أحسن في الماضي اكثر كثيرًا مما يفهم من لفظ ( أحسن ) انه سيحسن في المستقبل بل كثيرًا ما تقول « زيد لا يحسن الى الفقراء » وزيد « انه ما احسن اليهم » والخلاصة ان المضارع قد يفهم منه الماضي مع الايماء الى المستقبل لا سيما بعد ( لو ) كقول التنزيل « ولو يطيعكم في كثيرٍ من الامر لعنتُم » اي « لو اطاعكم » فانه مع افادته الدلالة على الماضي يفيد ايضاً الايماء الى ان ترتب الجواب على الشرط ثابت في المستقبل ايضاً . ولفظ المضارع ادل على هذه النكتة من لفظ الماضي كما يظهر عند التأمل والله اعلم

## بحث

### ﴿ في تأثير النفي ﴾

### ﴿ في جملة المبتدا والخبر ﴾

ولسهولة الكلام نقسم الخبر الى مفرد وجملة

### ﴿ الخبر المفرد ﴾

ولا يخلو اما ان يكون مكاناً للمبتدا او زماناً له او صفةً من صفاته او موصوفاً آخر هو اما نفس المبتدا في المعنى او غيره يقصد تشبيه الخبر به واليك امثلة ذلك على ما مرَّ بك قبيل الآن

( ١ ) زيد عندك ( مكانه )

(٢) الاجتماع غداً (زمانه)

(٣) زيد مسافر او عالم (صفة من صفاته)

(٤) زيد اخوك (جامد نفس المبتدا في المعنى)

(٥) زيد اخوه او اسد (اي كاخيه او كالاسد)

ولا يخفى ان الاسناد في المثال الاول يراد به ثبوت الوجود لزيد مقيداً بالمكان فاذا دخل النفي عليه نفى القيد فقط دون الوجود المسند الى زيد وهو ظاهر نحو « ما زيدٌ عندك » ومثله المثال الثاني الا ان الوجود مقيد بالزمان فينتفي اي الزمان بدخول النفي نحو « ما اجتماع الجمعية غداً » فان المنفي انما هو كون الاجتماع غداً لا مطلق وقوعه وهو ظاهر ايضاً . فاذا اجتمع الزمان والمكان معاً كقولنا مثلاً « ما اجتماع الجمعية عندك غداً » فالى م يتوجه النفي قلنا لما كان كل من الزمان والمكان خبراً كان المتاخر منهما قيداً للآخر فيتوجه اليه النفي دون صاحبه فاذا قلت « الاجتماع غداً في بيت زيد » فقد اردت الاخبار عن زمن الاجتماع وقيدته بالمكان فاذا نفيت فقلت « ليس الاجتماع غداً في بيت زيد » لم يكن المقصود من الجملة نفي الاجتماع غداً بل نفي انه غداً في بيت زيد وبالعكس اذا قدّمت المكان فان الزمان المتأخر يصبح قيداً له فيتوجه اليه النفي خاصة . بقي انه اذا ادخلت النفي على الزمان او المكان مقدماً على المبتدا كقولك « ليس غدا الاجتماع في بيت زيدٍ » فما المراد من الجملة حينئذٍ قلت المراد توجه النفي الى المتقدم تنصيصاً مع ارادة القصر قلباً او تعييناً اي ليس غداً الاجتماع في بيت زيدٍ بل بعد غدٍ او في زمان آخر واولى بمثل هذا الكلام ان يكون

معمن ينازع ان الاجتماع في بيت زيد غداً وانت تعلم ان الاجتماع في بيت زيد لكن في غير ذلك الزمان فنقلب له حكمه من جهة الزمان . او لا يدري أغداً الاجتماع ام بعد غدٍ فتعينه له

واما الجملة الثالثة اعني « زيدٌ مسافر او عالم » فيراد بها ثبوت الاتصاف لزيد بالسفر او بالعلم ولذلك فالنفي الداخل عليها يتوجه الى هذا الاتصاف فينفيه على انه قد يراد احياناً نفي الاتصاف عن المسند اليه واثباته لغيره الا ان هذا لا بد معه من قرينة يدل عليها الكلام على ما جاء في التنزيل « وما انت علينا بعزيز » والا انصرف النفي الى الاتصاف لا غير . واعلم ان حكم الصفة هنا حكم الفعل المسند الى الفاعل في انه اذا تقيدت الصفة بقيد من القيود انصرف النفي اليه كقولنا « ما زيد مسافراً اخوه » و « ما زيدٌ عالماً بالنحو » فاذا قيدت المثالين بقيد اخر زيادة على المقيد الاول انصرف النفي الى القيد الزائد نحو « ما زيد مسافراً اخوه الى دمشق » و « ما زيد عالماً بالنحو كعمرو » وهكذا . واما المثال الرابع اي « زيد اخوك او اخو عمرو » فلا خفاء ان المراد بالاسناد كونهما شخصاً واحداً فاذا انتفى الاسناد انتفى تساويهما فثبتت المغايرة بينهما وهو ظاهر . فاذا قلت « ليس زيدٌ اخاك » وانت تعلم انه اخوه فماذا يراد بالنفي حينئذ قلت لا يراد بالاخ حينئذ المعنى المجعول له وضعاً بل شيئاً من لوازم الاخوّة كالنصرة والمساعدة والوفاء المعهود بين الاخوة وهذا الشيء هو المراد اسناده في قولنا « زيد اخوك » فاذن ينتفي هذا المراد مع عدم انتفاء المعنى الوضعي للاخ ويكون المقصود من الجملة المنيفة حينئذ « ان زيداً

الذي هو اخوك لما كان لا ينصرك ولا يفي حق الاخوة لك فحكمهُ حكم الاجنبي لا الاخ » وهو ظاهر ايضاً عند التأمل

بقي المثال الخامس « اي زيد اخوه او اسد » ولما كان الاسناد لاثبات المشابهة لا جرم انتفت المشابهة بدخول النفي اي ان قولنا « ما زيد اخاه » مساو لقولنا « زيد لا يشبه اخاه » فاذا زيد قيد على هذه الجملة كقولنا « زيد اخوه في فعاله » انصرف النفي اليه وهكذا . فان قلت فكيف تصرف النفي الى المقال لوحده او الفعال لوحده في قولك « زيد اخوه في مقاله وفعاله » قلت اقول « زيد اخوه في مقاله لا في فعاله » او « في فعاله لا في مقاله » واتخلص من كل هذا التطويل والفلسفة

واعلم انه يمتنع في الخبر المفرد ان يتقدم عليهِ النفي دون المبتدا فلا يقال لغة « زيد ما في الدار » ولا « زيد ما مسافر » ولا « الاجتماع ما غداً » فان قلت يقولون « زيد ليس في الدار » و « ليس مسافراً » قلت يقدّرون ( لليس ) اسماً فيصير حكم المثال حكم « ليس زيد في الدار » والله اعلم

## ﴿ تأثير النفي مع الخبر الجملة ﴾

لا يخلو اما ان يكون الخبر جملة اسمية كقولنا « زيد لسانه فصيح » او فعلية كقولنا « المال يعز الذليل » وفي كل منهما كلام اليك هو

## ﴿ الجملة الاسمية ﴾

اذا قلت « زيد لسانه فصيح » كان في الجملة احتمالان اما الاوّل

فارادة القصر ومدلول هذه الجملة مع ارادة القصر مساو لمنطوق قولنا زيد لسانه فصيح دون غيره او دون عمرو ) وهذا الاحتمال لا بد من قرينة تدل على ارادته كدلالة المقام او غيرها واما الاحتمال الثاني فارادة مجرد الاخبار عن لسان زيد بالفصاحة مع انصباب الغرض الى اللسان كما مر بك وهذا الاحتمال اولى من الاول عند فقد القرينة وينبغي صرف المعنى اليه

واذ مهدنا ما مهدنا نقول اذا دخل النفي على مثل هذه الجملة نحو « ما زيد لسانه فصيح » كان المراد على الاحتمال الاول ان فصاحة اللسان منفية عن زيد ثابتة لغيره واما على الاحتمال الثاني فلا يتعدى معنى الجملة نفي فصاحة اللسان عن زيد ويكون حكم ( ما زيد لسانه فصيح ) حكم ( ما زيد فصيح اللسان ) سوى ان الغرض منصب الى اللسان على ما علمتهُ في الكلام عن الخبر الجملة

## ﴿ الجملة الفعلية ﴾

اذا قلت « ما المال يعزُّ الذليل » احتمل الكلام نفي الاعزاز عن المال مطلقاً او مع ارادة القصر او الاختصاص لهُ والاحتمال الثاني اولى من بقية الاحتمالات ولا يعدل عنه الاَّ لدليل او قرينة صريحة تمنع من ارادة القصر وذلك لاسباب

( اوَّلاً ) انه ورد في فصيح اللغة ونص عليه ائمتها كقول الرسول صلعم « ما انا حملتكم ولكن الله حملكم » وكقول المتنبي

وما انا أسقمت جسمي به ولا أنا أضرمت في القلب نارا

اي بل غيري وكقوله ايضاً

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كلهُ ولكن لشعري فيك من نفسهِ شعرُ

وكقول الآخر

أمر على الديار ديار ليلى فالثم ذا الجدار وذا الجدار

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديار

( ثانياً ) لو اردت في قولك « ما المال يعزُّ الذليل » مجرد نفي الخبر عن المبتدا لكان الاولى ان يقال « المال لا يعزُّ الذليل » بتقديم النفي على الخبر فقط او « لا يعزُّ المال الذليل » بصورة الفعل والفاعل وتقديم النفي على الفعل وترك هذه الاولوية من دون غرض ولا سبب عبث في كلام البلغاء فلا بد اذن من سبب لعدولهم عنها وليس هو سوى ارادة نفي الخبر عن المبتدا واثباته لغيره ( وهو المراد من القصر ) على ما تبين مما عقبوا به كلامهم كما رأيت في الامثلة المارة . فان قلت ان المحافظة على الوزن او حسن الرصف دعت الى التقديم المذكور قلنا ان وروده في الكلام المنثور نحو « وما انا حملتكم ولكن الله حملكم » لا يصح معه ادّعاء المحافظة على الوزن واما حسن الرصف فالذوق السليم شاهد على انه لا يراد هنا ولا من موقع له فان ( ما انا حملتكم ) ليس فيها من حسن الرصف ما يزيد على قولنا ( ماحملتكم ) او ( ما حملتكم انا ) كما لا يخفى على المتأمل

والخلاصة ان الخبر الفعلي اذا تقدم حرف النفي عليه وعلى المبتدا معاً كان المراد تخصيص الخبر بالمبتدا منفياً عنه ثابتاً لغيره الاّ اذا دلت قرينة صريحة على ارادة مجرد النفي لا غير واذا تقدم النفي على الخبر فقط كان

المراد تخصيصه بالمبتدا منفياً عنه بقطع النظر عن ثبوته لغيره الاَّ اذا دلت قرينة على الثبوت ولا بد من ان تكون صريحة والاَّ فلا يعتد بها

## فصل

### ﴿ في ( كلّ ) ﴾

—﴿ وقد نقلناه عن مغني اللبيب لابن هشام لما رأينا فيه من ﴾—

—﴿ الفائدة النحوية والبيانية وقد تركنا بعض ﴾—

﴿ ما يمكن الاستغناء عنه وهو مما لو ذكر لشوَّش ﴾

﴿ على كثيرين من الطلبة والقرَّاء ﴾

« مغني اللبيب وجه ١٦٤ طبع مصر سنة ١٣٠٢ »

كل اسم موضوع لاستغراق افراد المنكر نحو « كل نفس ذائقة الموت » والمعرف المجموع نحو « وكلهم آتيه » واجزاء المفرد المعرَّف نحو « كل زيد حسن » فاذا قلت « اكلت كل رغيف لزيد » كانت لعموم الافراد فان اضفت الرغيف الى زيد صارت لعموم اجزاء فردٍ واحد — وترد ( كل ) باعتبار كل واحد مما قبلها وما بعدها على ثلاثة اوجه فاما اوجهها باعتبار ما قبلها ( فاحدها ) ان تكون نعتاً لنكرة او معرفة فتدل على كماله وتجب اضافتها الى اسم ظاهر يماثله لفظاً ومعنىً نحو « اطعمناهُ شاة كل شاة » وقوله

وان الذي حانت بفلج دماؤهم  هم القوم كل القوم يا أم خالد

( والثاني ) ان تكون توكيداً لمعرفة — او لنكرة محدودة وعليها ففائدتها العموم و يجب اضافتها الى اسم مضمر راجع الى الموكد نحو « فسجد الملائكة كلهم » قال ابن مالك وقد يخلفه الظاهر كقوله

كم قد ذكرتك لو اجدى تذكركم  يا أشبهَ الناس كل الناس بالقمر

— ومن توكيد النكرة بها قوله

لبثت حولاً كاملاً كلهُ  لا ألتقي الاَّ على منهج

( والثالث ) ان لا تكون تابعة بل تالية للعوامل ( قال العلامة الامير لعلهُ اراد التلوَّ المعنوي اي التاثر ليشمل الابتداء ) فتقع مضافة للظاهر نحو « كلُّ نفس بما كسبت رهينة » وغير مضافة نحو « وكلاً ضربنا له الامثال »

واما اوجهها الثلاثة التي باعتبار ما بعدها ( الاوَّل ) ان تضاف الى الظاهر وحكمها ان يعمل فيها جميع العوامل نحو « اكرمت كل بني تميم » ( والثاني ) ان تضاف الى ضمير محذوف ومقتضى كلام النحويين ان حكمها كالتي قبلها و وجهه انهما سيان في امتناع التأكيد بهما و ( الثالث ) ان تضاف الى ضمير ملفوظ به وحكمها ان لا يعمل فيها غالباً الاَّ الابتداء نحو « ان الامر كله لله » فمن رفع كلاً ونحو « وكلهم آتيه » — ( فصل ) واعلم ان لفظ ( كل ) حكمه الافراد والتذكير وان معناها بحسب ما تضاف اليه فان كانت مضافة الى منكرٍ وجب مراعاة معناها فلذلك جاء الضمير مفرداً مذكراً في نحو « وكل شيءٍ فعلوه في الزبر » و « كل انسان الزمناه » وقول ابي بكرٍ وكعبٍ ولبيدٍ رضى الله عنهم

كل امرىء مصبحٍ في اهلهِ  والموتُ ادنى من شراكِ نعلهِ

كل ابن انثى وان طالت سلامتهُ  يومًا على آلة حدباء محمول
ألا كل شيء ماخلا الله باطل  وكل نعيم لا محالة زائل

وقول السموأل

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضهُ  فكل رداء يرتديهِ جميل

ومفرداً اموَّنثاً في قوله تعالى « كل نفسٍ بما كسبت رهينة كل نفسٍ ذائقة الموت »

ومثنى في قول الفرزدق

وكلُّ رَفيقيْ كلّ رحل وان هما  تعاطى القنا قومًا هما أخوان

ومجموعاً مذكراً في قوله تعالى « كل حزبٍ بما لديهم فرحون » وقول لبيد

وكل اناس سوف تدخل بينهم  دويهية تصفرُّ منها الانامل

ومؤنثاً في قول الاخر

وكلُّ مصيبات الزمان وجدتها  سوى فرقة الأحباب هينة الخطب

وهذا الذي ذكرناه من وجوب مراعاة المعنى مع النكرة نص عليه ابن مالك ورده ابوحيان بقول عنترة

جادت عليهِ كل عين ثرة  فتركن كل حديقة كالدرهم

فقال تركنَ ولم يقل تركتْ فدل على جواز كل رجل قائمٌ وقائمون والذي يظهر لي خلاف قولهما وان المضافة الى المفرد إن أُريد نسبة الحكم الى كل واحدٍ وجب الافراد نحو « كل رجل يشبعه رغيف » او الى المجموع وجب الجمع كبيت عنترة فان المراد ان كل فردٍ من الاعين جاد وان مجموع الاعين تركن وعلى هذا فتقول « جاد عليَّ كل محسن فاغناني » او ( فاغنوني ) بحسب المعنى الذي تريده — وان كانت ( كل ) مضافة الى معرفة فقالوا

يجوز مراعاة لفظها ومراعاة معناها — والصواب ان الضمير لا يعود اليها من خبرها الا مفردًا مذكرًا على لفظها نحو « وكلهم آتيه يوم القيامة » (الآية) وقوله تعالى فيما يحكيه عنه نبيُّه عليه الصلاة والسلام « يا عبادي كلكم جائع الاَّ من اطعمته » الحديث . وقوله عليه الصلاة والسلام « كلُّ الناس يغدو فبائع نفسهُ فمعتقها او موبقها . كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته وكلنا لك عبد » — ومن معناها الجمع فان قطعت عن الاضافة لفظًا فقال ابو حيّان يجوز مراعاة اللفظ نحو « كلٌّ يعمل على شاكلته » — ومراعاة المعنى نحو « وكلٌّ كانوا ظالمين » والصواب ان المقدر يكون مفردًا نكرةً فيجب الافراد كما لو صرّح بالمفرد ويكون جمعًا معرَّفًا فيجب الجمع وان كانت المعرفة لو ذكرت لوجب الافراد ولكن فعل ذلك تنبيهًا على حال المحذوف فيهما فالاول « كل يعمل على شاكلته كلٌّ آمن بالله كلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه » اذ التقدير كلُّ احد والثاني نحو « كلٌّ له قانتون كلٌّ في فلك يسبحون وكلٌّ اتوه داخرين وكلٌّ كانوا ظالمين » اي كلهم

## ﴿ مسئلتان ﴾

( ويهمنا الأُولى منهما )

( الأُولى ) قال البيانيون اذا وقعت ( كلٌّ ) في حيز النفي كان النفي موجهًا الى الشمول خاصة وافاد بمفهومه ثبوت الفعل لبعض الافراد كقولك « ماجاء كل القوم » و « لم آخذ كل الدراهم » و « كل الدراهم لم آخذ » وقوله « وما كل رأي الفتى يدعوا الى رشد » وقوله « ما كل ما يتمني المرء

يدركه » وان وقع النفي في حيزها اقتضى السلب عن كل فرد كقوله عليه الصلاة والسلام لما قال له ذو اليدين « أنسيت ام قصرت الصلاة كلُّ ذلك لم يكن » وقول ابي النجم

قد اصبحت امُّ الخيار تدَّعي عليَّ ذنبًا كلَّه لم أصنع

وقد يشكل على قولهم في القسم الاوَّل قوله « والله لا يحب كل مختالٍ فخور » وقد صرَّح الشلوبين وابن مالك في بيت ابي النجم بانه لا فرق في المعنى بين رفع (كل) ونصبه وردَّ الشلوبين على ابن ابي العافية اذ زعم ان بينهما فرقًا والحق ما قاله البيانيون والجواب عن الآية ان دلالة المفهوم انما يعوَّل عليها عند عدم المعارض وهو هنا موجود اذ دل الدليل على تحريم الاختيال والفخر مطلقًا . انتهى ما اردنا نقله عن العلامة ابن هشام بلفظه مع بعض الحذف كما اشرنا

## ﴿ في ترتيب جملة المبتدا والخبر ﴾

علمت فيما مرَّ ان المبتدا مقدم طبعًا على الخبر وانه هو الذي يخطر اولاً في الذهن ثم حكمه المتعلق به وعليه فالترتيب الغالب ان يذكر المبتدا اولاً ثم الخبر وهذا يكاد يكون مطردًا فيما اذا كان الخبر صفة للمبتدا . كزيد فاضلٌ . والادب حليةٌ . والمعرفة قوةٌ . او جملة خبرية مسندة اليه كقوله

العلم يبني بيوتًا لا عماد لها والجهل يهدم بيت العزّ والحسب

وكقول الآخر

هم وطَّنوا عنها بليًّا فأصبحت بليٌّ بواد من تهامة غابر

وكقول الآخر

الله أعطاك الذي أعطيته وحباك بالفضل الذي لا ينكر

وامثلة ذلك كثيرة

وكذلك اذا كان المبتدا اسم اشارة او ضميرًا لمتكلم او لمخاطب فانه اول ما يخطر حينئذٍ في الذهن ولذلك فيقدم لفظًا وفقًا لتقدمه ذهنًا واليك بعض الشواهد على ذلك

ذي المعالي فليعلون من تعالى هكذا هكذا والاَّ فلا لا

ونحو هذا أبو الصقر فردًا في محاسنه من نسل شيبان بين الضال والسلم

ونحو هذا المعد لريب الدهر منصلتًا أعد هذا لرأس الفارس البطل

ونحو أنا الذي نظر الاعمى الى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

ونحو أنا لائمي ان كنت وقت اللوائم علمت بما بي بين تلك المعالم

ونحو والهجر اقتل لي مما أُراقبه أنا الغريق فما خوفي من البلل

ونحو وانتِ التي أخلفتني ما وعدتني وأشمتِ بي من كان فيك يلوم

ونحو أنت منا فتنت نفسك لكنك عوفيت من ضنى واشتياق

ونحو أنت أعلى محلة من أن تهنا بمكان في الارض أو في السماء

الى غير ذلك من الامثلة التي لا تحصى . ولو ان كل جملة مؤلفة من المبتدا والخبر بحسب الصناعة يراد بها مجرد الاخبار او قصد افادة المخاطب حكمًا بامر على آخر مجهول عنده لكان قلَّما يختلف الترتيب الذي ذكرناه الاَّ أنه كثيرًا ما يراد بالمبتدا والخبر اظهار انفعالات نفسانية كالتعجب والاستعظام والدعا والمدح والذم واشباه ذلك من الاغراض المعنوية فضلاً عما يعرض من الاغراض اللفظية مما يدعو الى عكس الترتيب الذي ذكرناه

وتقديم الخبر . ولو انه يتهيأ لكل منشئ بحرفة الادب ان يقف على كلام البلغاء و يوفيه حقه من التأمل والنظر لوكلنا الى حسن ذوقه معرفة المواطن التي يتقدم فيها المبتدا والمواطن التي يتقدم فيها الخبر . ولتعذر هذا على كثيرين رأينا ان نذكر بعض الملاحظات يستعين بها المبتدي على معرفة بعض المواطن التي يتقدم فيها كلٌ من المبتدا والخبر على الآخر واليك هي

## ﴿ ملاحظات على تقديم المبتدا ﴾

( ١ ) قدم المبتدا اذا كان في تقديمه تشويق الى الخبر نحو « ان اكرمكم عند الله اتقاكم »

وكقوله . والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

وكقول الآخر

ان التي زعمت فؤادك ملها خلقت هواك كما خلقت هوى لها

( ٢ ) قدم المبتدا اذا طال الخبر اما لتعدد الاخبار او لكثرة القيود في الخبر وسببه في الغالب ان الذهن يشق عليه توقفه في انتظار المبتدا ليسند اليه الخبر ولانه قد يغفل عن اوائل الخبر وارادة حملها على المبتدا كقولك « الادب آلة يستعين بها الفقير وحلية يتزين بها الغني » ونحو « أنتِ جميلةٌ يا حبيبتي كترصة حسنة كأُورشليم مرهبة كجيش بالوية » ونحو « عنقك كبرج داود المبني للأسلحة الف مجنٍّ علق عليه كلها اتراس جبابرة »

واعلم انه اذا طال الخبر وتعدد فكثيرًا ما تقتضي البلاغة اعادة المبتدا

لئلا يغفل الذهن عنه

( ٣ ) قدم المبتدا اذا تقيد المبتدا باحد القيود التي يمكن ان يصدق الاسناد اليه بدونها كقولك « العلم وان ضاق بصاحبه الرزق خير من الجهل وان اتسعت بصاحبه كل أسباب الرّزق »

( ٤ ) قدم المبتدا اذا كان الحكم المسند اليه عاماً او بمنزلة العام كقوله

وكل فتىً يولي الجميل محبب وكل مكان ينبت العزّ طيب

وكقولهِ وكثيرٌ من السؤال اشتياق وكثير من رده تعليل

وكقولهِ ما كل ما يتمنى المرء يدركهُ تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وكقولهِ ومراد النفوس أصغر من أن نتعادى فيهِ وان نتفانى

وكقولهِ وأسرع منفعول فعلت تغيرا تكلف شيء في طباعك ضدهُ

وكقولهِ وما كل هاو للجميل بفاعل ولا كل فعال لهُ بمتمم

( ٥ ) قدم المبتدا اذا كان الخبر مشبهاً به بعد كاف التشبيه كقوله « ليس التكحل في العينين كالكحل » وكقوله

وما صبابة مشتاق بلا أمل من اللقاء كمشتاق بلا أمل

ما أوجه الحضر المستحسنات بهِ كأوجه البدويات الرعابيب

والعمر كالكأس تسخلى أوائلهُ لكنهُ ربما مجّت أواخره

( ٦ ) قدم المبتدا اذا خلا الذهن عنه وعن الخبر وهو كثير شائع وسببه ان الذهن ينتظر بطبعه الحكم بعد المحكوم عليه والخبر بعد المخبر عنه

( ٧ ) لا تنس في تقديم المبتدا المواطن التي نص عليها النحاة في مطوّلاتهم

## ﴿ ملاحظات على تقديم الخبر ﴾

( ١ ) قدم الخبر في مقام التعجب والاستعظام والمدح والذم والترحم والتقديس والتنزيه والدعاء واشباه هذه الاغراض التي يشف فيها الخبر عن انفعالات في النفس نحو « لله انت . لله درُّك . لله ما صنعت . عظيمةٌ هي اعمالك يارب . عظيمة هي ارطاميس الافسسيين . نعم الرجل زيد . نعم الدار دار الاخيار و بئس الدار دار الفجار . ملعونة الارض بسببك . ملعون كل من ينتسب الى غير ابيه . مسكين ابن آدم ما اكثر امله واقل عمله .

مساكين أهل العشق حتى قبورهم عليها تراب الذل دون الخلائق

مبارك انت يارب اله ابائنا . مبارك الرب صخرتي الذي يعلم يديَّ القتال واصابعي الحرب . قدوسٌ قدوسٌ رب الصباؤوت . متعال انت يارب عن إدراكنا و بعيدة افكارك عن افكارنا وطرقك عن طرقنا . معمورة دارك .

في ذمة الله من أصبحت منزلهُ وجاد غيث على مغناك يمرعهُ

حرام على قلبي السرور فانني اعد الذي مانت بها بعدها سماً

( ٢ ) قدم الخبر المشبه به اذا عقبته لفظة ( هكذا ) قبل ذكر المبتدا ولا يكون المشبه به ههنا الاَّ متعارفاً مشهوراً نحو « كالسوسنة بين الشوك هكذا حبيبتي بين البنات . كالتفاح بين شجر الوعر هكذا حبيبي بين البنين تحت ظله اشتهيت ان اجلس وثمرته حلوة لحلقي » فانه الطف وابلغ من العكس كما لا يخفى على ذي ذوق سليم

(٣) اذا كان الخبر معلوماً او مشخصاً لدى المتكلم مسنداً الى فرد لا على التعيين من افراد موصوف نكرة او مخصص بوصف او اضافة كقوله

اهل ما بي من الضنى بطل  صيد بتصنيف طرّة وجعيد

وكقوله مفرشي صهوة الحصان ولكن  قميصي مسرودة من حديد

وكتمثيل النحاة « عندي كتاب وفي الدار رجل » وربما ينازع في ( مفرشي ) انها المبتدا والمتأمل يرى انها اولى بان تكون خبرًا لان تشبيه صهوة الحصان بالمفرش أظهر وانسب من العكس

( ٤ ) قدم الخبر في المواطن التي ذكرها النحاة في مطولاتهم وصرحوا انه يجب فيها تقديم الخبر وامثلة ذلك كثيرة قد عرفتها من النحو فلا حاجة بك لاعادة ذكرها

بقي ان نشير الى متعلقات المبتدا والخبر والترتيب بينها وهنا نقول ان الاصل ان يذكر المبتدا ومتعلقاته ثم الخبر ومتعلقاته او بالعكس كما رأيت في اكثر الامثال المارّة الا انه قد يمكن مخالفة هذا الترتيب فيتقدم بعض معمولات الخبر او كلها عليه وقد يتقدم بعضها او كلها على المبتدا ايضاً اما متعلقات المبتدا فقلما تقع بعد الخبر الا نادرًا وفيما اذا كانت ظرفًا ايضاً لكن هذا التقديم والتأخير لا يكون غالبًا الاّ لغرضٍ كالمحافظة على الوزن او القافية او الفاصلة او لحسن الرصف ولا بدَّ معه من المحافظة على منع الالتباس وتجنب التعقيد على ما مرَّ بك في ترتيب الجملة الفعلية ولولا خوف الاطالة لاكثرنا لك من ضرب الامثلة على اننا مع ذلك نذكر لك المثال الآتي والتراكيب الجائزة فيه لتقيس غيره عليه ( لا يذهب عليك ان باب التواسخ من قبيل المبتدا والخبر ) ( والمثال منقول عن كتاب المعاني والبيان للاب شيخو اليسوعي طبع ببيروت ) واليك هو

لا برحت شموس سعوده في دائرة النصر دائرة · واقمار اقباله في افلاك العز سائرة · وطوالع جده على الآفاق مشرقة · وكواكب مجده بنجوم السعد محدقة · واليك التراتيب الممكنة الجائزة في الجملة الاولى مع بقاء المعنى على حاله من غير التباس ولا تعقيد

(١) لا برحت في دوائر النصر شموس سعوده دائرة (ب) واقمار اقباله سائرة في افلاك العز

(٢) لا برحت في دوائر النصر شموس سعوده دائرة (ج) وفي افلاك العز اقمار اقباله سائرة

(٣) لا برحت في داوائر النصر دائرة شموس سعوده (د) وفي اقمار العز سائرة اقمار اقباله

(٤) لا برحت دائرة شموس سعوده في دوائر النصر (ه) وسائرة اقمار اقباله في افلاك العز

(٥) لا برحت دائرة في دوائر النصر شموس سعوده (و) وسائرة في افلاك العز اقمار اقباله

فهذه خمس صور ما خلا الصورة الاصلية وجميعها جائزة لعدم وقوع التباس او تعقيد في شيء منها اما اختيار احدى هذه الصور دون الاخرى فراجع الى ترجيح الكاتب وبه يظهر حسن ذوقه اذا كان بينها تفاوت · واعلم انك ايُّ ترتيب اخترت فيقضي عليك رعاية للمطابقة ان تجري عليه في الجمل المعطوفة كما ترى في الاحرف الابجدية قبالة الارقام الهندية والله اعلم

## ﴿ في حذف المبتدا وذكره ﴾

قبل ان نذكر لك شيئًا عن حذف المبتدا او ذكره لا نرى بدًّا من اعادة القول ان الاختصار مطلوب في اللغة وان تكليف الذهن للانتباه الى ما هو في غنى عن الانتباه اليه مخالف للبلاغة . ومن جهة اخرى نقول ان المطلوب باللغة في اكثر الاحيان تمكين الفكر في ذهن السامع لا مجرَّد نقله اليه كيف اتفق ولذلك فمجرَّد التعبير عن الفكر من دون مبالاة في كيفية ايصاله الى ذهن السامع وتقريره فيه ايجادًا لاثره المقصود في النفس على ما هي الغاية من التخاطب والتفاهم مخالف للبلاغة ايضًا فاذا كان ذكر المبتدا مثلاً لا يزيد في تقريره في النفس اولا فائدة من تقريره فيها وسيَّان من هذا القبيل ذكره وحذفه فالاولى حذفه ما لم يكن هنالك غرض لفظي لذكره كالمحافظة على وزن اوقافية وعلى العكس اذا كان المقصود تقريره في النفس لغاية من الغايات ولا يتأتى التقرير بدون اعادة ذكره امتنع حذفه وان وُجد الف قرينة تدل على الحذف والمحذوف معًا والف غرض ايضًا من الاغراض اللفظية الداعية الى الحذف كالمحافظة على وزن او قافية او فاصلة او رعاية لمطابقة او حسن رصف فاعرف هذا

ثم نقول لك ايضًا ان الحكم على هذا الفكر او على هذا المبتدا انه يلزم ذكره لتقريره في الذهن وعلى ذاك انه لا يلزم جميع ذلك مما لا يمكن وضع ضابط له اصلاً والكلام فيه ضرب من العبث بل ذلك امر موكول الى حسن ذوقك لا يراجع فيه الا نفسك وبه يظهر فضل بلاغتك ومتانة تراكيبك ان خطابًا او كتابة وغاية ما هنا لك انه يمكن لنا التنبيه الى

بعض الاغراض التي يصح معها الحذف او الذكر اما ان هذه الاغراض متحققة في هذا الموقف دون ذاك فلا واليك بعض هذه الاغراض

## ﴿ الاغراض التي تدعو الى حذف المبتدا ﴾

اعلم اولاً انه لايصح الحذف الا اذا وجدت قرينة تدل على المحذوف اما القرينة وتكون معنوية او لفظية فلا يمكن وضع ضابط لها بل تعرف من كل مقام بحسبه بخلاف الاغراض فانه يمكن التنبيه اليها واليك اشهرها على ما ذكره البيانيون

(١) احترازاً عن العبث في الكلام . ومعنى ذلك على ما ارى ان الذكر لا يزيد الكلام قوة ولا يساعد على سهولة الفهم كجواب من تسأله « الى اين انت ذاهب » فيقول لك « الى المدينة » فان ذكر « انا ذاهب » من العبث في الكلام كما لا يخفى وارى منه قول القائل

واني من القوم الذين هُمُ هُمُ  اذا مات منهم سيد قام صاحبهُ
نجوم سماء كلما غار كوكب  بدا كوكب تأوي اليهِ كواكبهُ

فان التقدير لايكون الا « هم نجوم » او « هولاء القوم نجوم » ولا فائدة من ذكر المبتدا هنا الا مجرد الربط والربط مفهوم كل الفهم من دلالة المقام عليه . وذهب الامام السيوطي الى ان الغرض هنا « صونه عن ذكرك له بلسانك تعظيماً له » ولا ارى موجباً لهذا التكلُّف والله اعلم

(٢) محافظة على وزن او قافيه وقد اجتمع الامران في قول الشاعر

على أنني راض بان أحمل الهوى  واخلص منهُ لا عليّ ولا ليا

وهي اي عبارة « لا علي ولا ليا » اصبحت من الكلام المتعارف حتي صار حذف المسند اليه فيها من قبيل الاحتراز عن العبث في الكلام . على انه قد يراد بالمسند اليه فيها مخصوص بعينه فيجب حينئذ ذكره كقولك مثلاً « ما عليَّ ما يقال ولا لي ما اقول »

( ٣ ) الاحتراس من فوات الفرصة كقول الصياد « غزال » وارى ان الذكر هنا ايضاً من عبث العبث في الكلام

( ٤ ) اتباع العادة في الاستعمال كقولهم « رمية من غير رام » والجملة مثلٌ الآن واول من قالها الحكم بن عبد يغوث المنقري والقصة مشهورة الا ان الحذف وقع فيها ابتداءً للاحتراز عن العبث في الكلام كما لا يخفى

( ٥ ) ومن اغراض الحذف على ما ذكر البيانيون تاتي الانكار والجحد واختبار السامع هل يتنبَّه ام لا ولاختبار مقدار تنبهه هل يتنبه بالقرائن الخفيَّة ام لا اه

وجميع هذه الاغراض تاتي في المخاطبات الشفاهيَّة اكثر مما في الكتابة وفى المواقف الخاصة دون العامة فلا يصح للخطيب ان يوردها وهو يخطب على ملاءٍ من القوم ولا للكاتب ان ياتي بها في كتاباته التاريخية ولا الوصفية ولا التعليمية بل لا يرى لها مقام الا على سبيل اللغز او التعمية ولذلك تركنا التمثيل لها لعدم جدواه ولو مثلنا لطال بنا الكلام على غير طائل والله اعلم

## ﴿ الاغراض التي تدعو الى ذكر المبتدا ﴾

واما ذكر المبتدا مع وجود قرينة يصح معها حذفه فلأغراض منها

(١) زيادة الايضاح والتقرير ( عقود الجمان ) كالآية « اولئك على هدًى من ربهم واولئك هم المفلحون »

(٢) قصدًا للفخر ويغلب ذلك مع ضمير المتكلم كقول عمرو بن كلثوم

وقد علم القبائل من معد  اذا قبب بابطحها بنينا
بأنا المطعمون اذا قدرنا  وأنا المهلكون اذا ابتلينا
وأنا المانعون لما أردنا  وأنا النازلون بحيث شينا
وأنا التاركون اذا سخطنا  وأنا الآخذون اذا رضينا

فاذا كان المبتدا مخاطبًا او في حكمه كالمشار اليه فالغالب ان المقصود من تكراره زيادة مدح او تعظيم يتوسل بهما الى حمل المخاطب واشراكه في امرٍ يخوف انحرافه عنه او معارضته له كقولك موجهًا الخطاب الى من هو اهلٌ له كزيد مثلاً . انت يامولاي ساعدتنا في كذا وانت ساعدتنا في كذا وانت صنعت بنا كذا وانت قلت لنا كذا وانت وانت الخ فاشاك الا تمد يدك الان لمساعدتنا ونحن في اشد الحاجة اليها . فان تكرار الخطاب مما يستخف المخاطب للاجابة ووعد المساعدة وصرفه عما كان ربما ينويه من المعاكسة والمعارضة كما يظهر للمتأمل وقد يكون ذلك للتشكي من المخاطب واستعتابه كقول ابن الدمينة في محبوبته أُمامة

وأنت التي كلفتني دلج السرى  وجون الفطا بالجلهتين جثوم
وأنت التي قطعت قلبي حزازة  وقرّحت جرح القلب فهو كليم

وأنت التي أحظيت أهلي فكلهم بعيد الرضا داني الصدود كظيم

او للتعنيف والتقريع اما التعنيف فكقول أمامة المذكورة جواباً على ابن الدمينة

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني واشمتّ بي من كان فيك يلوم
وأبرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضاً أرمى وأنت سليم
فلو أن قولاً يكلم الجسم قد بدا بجسمي من قول الوشاة كلوم

الاّ انها لم يتهيأ لها تكرار الضمير انت كما تهيأ لابن الدمينة فان قلت فلماذا لم تقل في بيتها الثاني ( وانت ) كما قال ابن الدمينة وانتِ قلت لان معنى بيتها الثاني غير مستقل عن معنى بيتها الاوّل فان اخلافه وعدها واشماته بها من كان يلومها فيه هو نفس ابرازها للناس وتركها لهم غرضاً ولو انها جاءت ببيت اخر مستقل في معناه تعنفه فيه على فعله لكان المرجح انها كررت ذكر الضمير انت ولكان التكرير واقعاً في محله وعليه ما عليه من رونق البلاغة

واما التقريع فلم اظفر له بشاهد لا لعدم وجوده بل لعدم اطلاعي ولقلة ما بين ايدينا من الخطب المحفوظة واعني بالتقريع تعداد معائب الخصم من قرعهُ بالعصا اذا ضربه بها كقولك لمن تريد تقريعه « انت فعلت كذا وانت فعلت كذا وانت فعلت كذا » اذا كانت افعاله تلك معائب ومساوي

واما اذا كان المبتدا ضميرًا لغائب فيراد من تكريره المدح والتعظيم في الغالب كقول بعض الفضلاء في الفضيلة

« هذه هي الفضيلة التي حام حول وصفها الفلاسفة والعلماء والشعراء والخطباء منذ الوف من السنين بل هي التي تمثلت من قبل للذين سادوا وشادوا في بلاد النيل فعظموها وعبدوها وبنوا لها الهياكل العظام الباقية آثارها حتى اليوم بهجة للناظرين ودهشة للباحثين وهي هي التي تراءت للامم النابغة على ضفاف دجلة والفرات فشادوا لها الهياكل طباقاً ولم تزل انقاضها حيرة للناقبين بل هي هي التي دانت اليوناني فسمو قدرها فحنى لها الهام خشوعاً في اكر بوله الباهر وهي هي التي عنى الروماني فسجد لها خضوعاً في كابيتوله الفاخر » اه

ولا يذهب عنك انَّ لتكرار الضمير هنا فائدة اخرى وهي تنبيهُ الذهن لربط هذه المسندات بالفضيلة ولولاهُ لخيف من غفلة الذهن عنها وعدم انتباهه في ردّ هذه الاخبار اليها

فان قلت كيف جاء الفخر والمدح والتعظيم والتشكي والتعنيف والتقريع قلت جاء ذلك من قبيل الخبر فان الخبر اذا كان من المستحبات فاسناد المتكلم اياه الى نفسه من قبيل الفخر كابيات عمرو بن كلثوم فاذا أُسند الى مخاطب او غائب انقلب الفخر الى مدح وتعظيم والمدح والتعظيم للمخاطب هدية ورشوى يستعان بهما على المساعدة كما يستعان بالهدايا والرشى فان كان الخبر مما يؤلم فهو من المحب الطالب كابن الدمينة شكوى واستعطاف ومن المحبوب المطلوب كاماتة لوم وتعنيف ومن غيرهما كالخصم مثلاً تقريع وتبكيت . فان قلت وما فائدة تكرار المبتدا قلت فائدته ان الذهن يصوره في كل مرة يذكر فيها مع الخبر فان كان لمتكلم او غائب تشخص

لدى الذهن مقروناً بما نسب اليه في الخبر وفي هذا مأمن من ان يمرّ الذهن بالخبر من غير ان يسنده الى صاحبه او يصرفه ذهولاً الى خلافه وان كان المبتدا لمخاطب تنبه المخاطب في كل مرة يذكر فيها الى الهدية او الرشوى المهداة اليه في الخبر والله اعلم

(٣) الاستخفاف بالمبتدا حرصاً على تنفير السامع مما نسب اليه وعدم قبوله ولا يكون ذلك الا اذا كان المبتدا معرفةً معيناً وممن رسخ في ذهن المخاطب حقارته او النفور منه وفقاً لقول المتنبي

واني رأيت الضرّ أحسن منظرًا وأمون من مرأي صغير وكبرُ

كقول الخطيب الواعظ ابليس يقول لكم كذا وابليس يقول لكم كذا وابليس يصوّر لكم كذا الخ وعلى عكس ذلك قد يكرّر ذكر المبتدا رغبةً في حمل المخاطب على قبول الحكم المسند اليه وتقريره في نفسه لعظم شان المبتدا ورسوخ مكانته في القلوب كقول الواعظ ايضاً كتاب الله يأمركم بكذا وكتاب الله ياموكم بكذا الخ . وكقول غيره الامير امرني ان اقول لكم كذا والامير أمرني ان اقول كذا الخ وهو ظاهر للمتأمل انما منعني من الاستشهاد له عدم توصلي الى اقوال الخطباء في امثال هذه المواقف لندرة ما هو منقول الينا عنهم

(٤) الاستلذاذ بذكره كقول الشاعر

بالله ياظبيات القاع قلن لنا ليلاي منكن أم ليلى من البشر

والفرق بين هذا الغرض والذي قبله انما هو في ان المبتدا «ليلى» على ماترى والقائل قيس او من هو على شاكلته

( ٥ ) الاحتياط لضعف الاعتماد على القرينة او على تنبه السامع او فهمه و يقع ذلك كثيراً فيما اذا تعددت الاخبار او طالت وخيف غفلة السامع في رد المسند الى صاحبه وقد المعنا اليه سابقاً

واعلم ان اغراض الذكر المارَّة لا تختص بالمبتدا بل تكون فيه وفي غيره كالمفعول به والمجرور والمنادى والليب اذا احسن اعتباره لا يخفى عليه المواضع اللائقة بها

## المسند اليه على العموم

### تعريف المسند اليه وتنكيره

﴿ هذا الفصل ننقله بحرفه عن عقود الجمان للامام الحافظ ﴾

﴿ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي رحمه الله ﴾

قال هذا الامام رحمه الله في شرح ارجوزته ( وقد تركنا الابيات استغناء عنها بشرحها ) . البحث الثالث في تعريفه وذلك لنكتٍ تظهر من جهة التعريف لانه اما بالاضمار وذلك لكون المقام للتكلم او الخطاب او الغيبة مثال الاول قوله

ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا

والثاني قوله . وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني واشمت بي من كان فيك يلوم

والثالث قول أبي تمام

بيمن ابي اسحق طالت يد العلا وقامت قناة الدين واشتد كاهله

هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله

والاصل في الخطاب ان يكون لمعيّن مفرداً او مثنى او جمعاً وقد لا يقصد به معين ليعم كل مخاطب على سبيل البدل نحو « فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساء اليك » فلا تريد به مخاطباً بعينه بل تريد إن أكرم او أحسن اليه فتخرجهُ في صورة الخطاب ليعم فان معاملته لا تختص بواحد دون آخر . ومنه قوله تعالى « ولو ترى اذ وقفوا على النار » ونحوه من الآيات أخرج في صورة الخطاب ليعم اذ المراد ان حالهم تناهت في الظهور بحيث لا يختص براء دون آخر فلا يختص بالخطاب مخاطب دون مخاطب بل كل من تأتى منه الرؤية فله مدخل فيه . وكذلك حديث « بشّر المشائين في الظلم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة » رواه ابن ماجة ونحوه من طرق التعريف العلمية وذلك لنكت . منها احضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء باسمه الخاص به فاحترز بعينه اي شخصه عن احضاره باسم جنسه وباسمه عن احضاره بضميره او اشارة او غيرهما مثال ذلك قوله تعالى « قل هو الله أحد » ومنها الكناية عن معنى يصلح له العلم نحو « ابو لهب فعل كذا » كناية عن كونه جهنمياً . ومنه تعظيمه او اهانته لكونه من الاعلام المحمودة او المذمومة . ومنها التبرك بذكره والاستلذاذ به

من طرق التعريف كونهُ موصولاً وذلك لنكت . منها زيادة التقرير نحو « وراودتهُ التي هو في بيتها » عدل عن اسمها وهو زليخا او راعيل زيادة لتقرير المراودة بذكر السبب وهو كونه في بيتها وقال الفرزدق

أتحبسني بين المدينة والتي اليها رقاب الناس يهوي منيبها

اى مكة وعدل زيادة للانكار مشيرا الى ان هذا المكان لا يصلح الاّ

للانابة والخضوع لا للتجبر والعدوان . ومنها التفخيم نحو « فغشيهم من اليم ما غشيهم » . ومنها كون المخاطب لا يعلم من احواله شيئاً غير الصلة كقولك « الذي كان معنا امس رجل عالم والتي اهداها اليك فلان بعملة » وهي الناقة القوية الحمولة . ومنها استهجان ذكر الاسم اذا كان مما يستهجن وله صفة كمال كقولك « الذي يعلم الفقه رجل نبيه » ومنها تنبيه المخاطب على خطإه كقوله

ان الذين ترَوْنهم اخوانكم يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا

ومنها الاشارة الى وجه بناء المسند على المسند اليه بان يذكر في الصلة ما يناسبه نحو « ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » فان الاستكبار الذي تضمنته الصلة مناسب لاسناد « سيدخلون جهنم داخرين » اي ذليلين الى الموصول وربما يكون ذريعة الى التعريض بتعظيم شأن المسند وهو الخبر نحو

ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعزّ واطوَل

فان ذكر الصلة التي هي سمك السماء مشعر بتعظيم المبنى عليه وهو البيت الذي بناه سامك السماء ورافعها او تعظيم غيره نحو « الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين » فانه قصد تعظيم شأن شعيب ( عم ) ونحو الذي يرافقك يستحق الاجلال والرفع فيه تعظيم المخاطب — وقد يكون ذريعة لسوى ما ذكر كالاهانة نحو الذي يرافقك يستحق الاذلال والصفع وكالتسلية كقول ابي العلا

ان الذي الوحشة في داره تؤنسه الرحمة في لحده

والتشويق الى الخبر كقوله

والذي حارت البرية فيو  حيوان مستحدث من جماد

وذكر السكاكي والطيبي من نكت الموصولية ان تكون ذريعة الى تحقيق الخبر كقوله

ان التي ضربت بيتًا مهاجرةً  بكوفة الجند غالت وُدّها غول

قال في الايضاح وفيه نظر لانه لا يظهر فرق بين الايماء الى وجه بناء الخبر وتحقيق الخبر واجاب ابن السبكي عنه بان الفرق واضح فان الايماء الى وجه بنائه ان يذكر ما يناسبه وتحقيقه ان يذكر ما يحقق وقوعه باي نوع كان والفرق بين بناء الشيء على غيره وتحقيقه واضح

من طرق التعريف كونه اسم اشارة وذلك لنكت · منها ان يقصد تمييزه اكمل تمييز لاحضاره في ذهن السامع حساً بالاشارة كقول الفرزدق في زين العابدين رضي الله تعالى عنه

هذا الذي تعرف البطحاء وطأتهُ  والبيت يعرفهُ والحل والحرَم

هذا ابن خير عباد الله قاطبة  هذا التقيُّ النقيُّ الطاهر العلمُ

وكقول ابن الرومي

هذا ابو الصقر فردًا في محاسنهِ  من نسل شيبان بين الضال والسلم

ومنها التعريض ببلادة المخاطب وغباوته حتى انه لا يتميز له الشيء الا بالاشارة اليه كقول الفرزدق يخاطب جريرًا

اولئك آبائي فجئني بمثلهم  اذا جمعتنا يا جرير المجامع

ومنها بيان حال المشار اليه من قرب او بعد كقولك للقريب هذا زيد وللبعيد ذلك زيد وذكر في التلخيص وغيره التوسط وتركته لان المختارة

عندي تبعاً لسيبويه وابن مالك انه ليس لاسم الاشارة الا مرتبتان وان مشينا على طريق اهل البيان امكن دخوله في العبارة . ومنها قصد تحقيره بقربه كقوله تعالى حكاية عن الكفار « اهذا الذي يذكر الهتكم » ومنها قصد تعظيمه بالبعد نحو « ذلك الكتاب » ومنها قصد تحقيره بالبعد نحو « ذلك اللعين فعل كذا » ومثله الطيبي بقوله تعالى « فذلك الذي يدع اليتيم » . ومنها التنبيه بعد ذكر المشار اليه باوصاف قبله على انه جدير بما يرد عليه من اجلها نحو اولئك على هدى الاية فذكر الاوصاف بعد الذين ونبه باسم الاشارة على ان المشار اليه وهو ( الذين ) جدير بذلك . ومنها ان لا يكون طريق الى معرفة المسند اليه الا باسم الاشارة وهذا من زيادتي وقد ذكره السكاكي في المفتاح وبقي من النكت قصد تعظيمه بالقرب نحو « ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم »

التعريف بالالف واللام يكون لنكت . منها الاشارة الى معهود اما لفظاً نحو فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كما ارسلنا الى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول او تقديراً نحو وليس الذكر كالانثى اي ليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت والذكر في قوله اني نذرت لك ما في بطني محرّرًا لاستلزام التحرّر بالذكر اذ لم يكونوا ينذرون تحرير الاناث اوحساً وهو مبصر كقولك لمن سدّد سهماً القرطاس او علماً نحو « اذ هما في الغار بالواد المقدس . اذ يبايعونك تحت الشجرة » ومنها الاشارة الى نفس الحقيقة نحو « الرجل خير من المرأة » اي حقيقة الرجل من حيث هي وقوله تعالى « وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ » وقول ابي العلا

والخل كالماء يبدي لي ضمائرهُ  مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

وقد يراد بها واحد باعتبار عهديته في الذهن كقولك ادخل السوق حيث لا عهد فان الدخول انما يكون في سوق واحد وكذا قولك ابتداءً دخلت السوق في بلد كذا وهذا في المعنى كالنكرة اذ لم يكن لمعين يعرفه المخاطب فصار شائعاً بحسب الظاهر ولهذا يوصل بالجمل قال تعالى «وآية لهم الليل نسلخ منه النهار» وقال الشاعر

ولقد أمرُّ على اللئيم يسبني  فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

ومنها استغراق الافراد اما حقيقة كعالم الغيب والشهادة اي كل غيب وكل شهادة او عرفاً نحو جمع الامير الصاغة اي صاغة بلده لا كل صاغة ثم الاستغراق في المفرد اشمل من الجميع ولذلك كان قولك لا رجال في الدار يصدق اذا كان فيها رجل او رجلان بخلاف قولك لا رجل فيها فان قيل افراد الاسم يدل على الوحدة والاستغراق على التعدد فيتنافيان فالجواب ان الحرف انما يدخل عليه عند ارادة الاستغراق مجرداً مقطوع النظر عن الوحدة والتعدد — .

تعريفه بالاضافة لنكت . منها ان تكون اخصر طريق والمقام يقتضي الاختصار كقوله

هواي مع الركب اليمانين مصعد  جنيب وجثماني بمكة موثق

فانه اخصر من قوله الذي اهواه او الذي قلبي اليه مائل والمقام مقتضٍ لذلك فان جعفر بن علبة قاله حين حبس بمكة وحال المحبوسين ضيق وبعده

عجبت لمسراها وأنى تخلصت  الي ّ وباب السجن دوني مغلق

ومما يدخل في الاختصار ان يغني عن تفصيل كقوله

اولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

فانه لو عددهم لطال · ومنها تعظيم المضاف اليه نحو عبدي فعل كذا تعظيماً لك بان لك عبداً او المضاف نحو ان عبادي ليس لك عليهم سلطان — او خلاف هذين كقولي (اشارة الى ما في ابيات الارجوزة) عبد امام المسلمين عندك لتعظيمك بحضور عبد الخليفة عبدك · ومنها التحقير كقولك عبد الحجام حضر

ومنها الاستغراق ولم يذكروه قال ابن السبكي عجبت من اهل هذا الشان كيف لم يذكروا ارادة الاستغراق من الاضافة وهي من ادوات العموم كما ان اداة التعريف كذلك بل عموم الاضافة ابلغ ومنها الاشارة الى مجاز لطيف كقوله

اذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة سهيل أذاعت غزلها في القرائب

اضاف الكوكب الى الخرقاء يعني انها تنام الى طلوعه وقت الصبح فعند ذلك تشعر بالبرد فتفرّق غزلها على القرائب ذكره السكاكي · ومنها الترقق ذكره السكاكي ايضاً كقولك محبك على الباب

البحث الثالث في تنكيره وذلك لامور منها الافراد نحو « وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى » اي رجل واحد · ومنها النوعية بان يراد به نوع مخالف للانواع المعهودة نحو « على ابصارهم غشاوة » اي نوع غريب من الغشاوة لا يتعارفه الناس بحيث غطى مالا يغطيه شيء من الغشاوات · ومنها تعظيمه بمعنى انه اعظم من ان يعين · ومنها التحقير بمعنى انحطاط شانه

الى حد لا يمكن ان يعرف واجتمعا في قوله

لهُ حاجب في كل أمرٍ يشينهُ وليس له عن طالب العرف حاجب

اي له حاجب عظيم وليس له حاجب حقير فكيف بالعظيم . ومنها التكثير بمعنى ان ذلك الشيء كثير حتى انه لا يحتاج الى تعريف نحو « ان له لابلاً وان له لغنماً » وقوله تعالى « قالوا ائن لنا لأجراً » . ومنها التقليل نحو « ورضوان من الله اكبر » اي رضوان من الله قليل اكبر . وقد يجتمع التعظيم والتكثير نحو « فقد كذّب رسل من قبلك » اي رسل عظام ذوو عدد كثير . وقد ينكر غير المسند اليه للتعظيم نحو « فأذنوا بحرب من الله » وللتحقير « نحن ان نظن الا ظناً » وللنوعية والافراد واجتمعا في قوله تعالى « والله خلق كل دابة من ماء » ولقصد العموم بعد النفي لان النكرة في سياق النفي تعم وهذا وما بعده من زيادتي . وللتجاهل وايهام انك لا تعرف شخصه كقولك « هل لكم في حيوان على صورة انسان يقول كذا » او ان لا يعرف المتكلم والسامع من حقيقتهِ غير ذلك .

( انتهى بلفظه عن عقود الجمان طبع مصر بالمطبعة )

( الشرقية سنه ١٣٠٥ من وجه ١٤ — ١٨ )

## ﴿ اتباع المسند اليه وفصله على العموم ﴾

المسند اليه المبتدا او الفاعل يُتبع او يُقيد لاغراض نشير اليها تنبيهاً للمطالع فمنها تقييده « بالوصف او بالحال » والغرض من ذلك مع غير الاعلام قد يكون

( ١ ) لتصحيح الاسناد بالنظر الى المعنى كقولك « الحيوان الناطق سيد المخلوقات الارضية » فانه لولا قيد النطق لكان الاسناد فاسداً وبعبارة اخرى كانت القضية عارية عن الصحة كما لا يخفى ومثل ذلك قول المتنبي

والغنى في يد اللئيم قبيح  قدر قبح الكريم في الاملاق

فانه لولا قيد الحال ( في يد اللئيم ) لفسد معنى الاسناد لان الغنى لا يقبح على الاطلاق انما يقبح في يد اللئيم . ومثله قولنا « العالم المخالف لمقتضى علمه شرٌّ من الجاهل » فانه لولا قيد المخالفة لمقتضى العلم لفسد المعنى في الاسناد فقس عليه امثاله

( ٢ ) للكشف عن امره تخصيصاً له فتكون فائدة الاسناد اتم وبياناً لكون ما نسب اليه من القول او الفعل حرياً بأن يصدر عن مثله نحو « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم الخ » فان هذه النعوت كشفت من امر الرجل فكان الاسناد معها اتم فائدة منه بدونها ثم ان انكاره على آل فرعون ما هموا به من قتل الرجل للسبب الذي ذكره وتقبيحه عليهم هذا القصد حريٌّ بأن يصدر عن رجل موصوف بالايمان ولو ترك من غير هذا القيد لتبادر الى الذهن السؤال عن غاية هذا الرجل في اقدامه على مخالفة قومه

محاماة عن رجل لا يعرفه ولاستُغرب منه صدور هذه المحاماة كل الاستغراب فكفى قيد الوصف هذه المؤونة كلها

( ٣ ) قصداً للتعريض فضلاً عن تصحيح الاسناد كقولك تعريضاً في رجل نصب للفتوى وهو ليس من ذويها « الرجل البخيل الذي يميل مع هوى النفس لا يصلح للفتوى » فان في الوصف بالبخل والميل مع هوى النفس فيه ما فيه من التعريض فضلاً عن تصحيح الاسناد

( ٤ ) قصداً لتعظيم احد متعلقات الفعل غير الفاعل او لتحقيره فضلاً عن جعل الاسناد اتم فائدة بالوصف كقولك « اليوم زارني رجل من اعاظم العلماء » وكقولك « لا ترى في دار زيد غير الخليع الماجن او المنافق المداهن » وغير ذلك من الاغراض التي لا يخفى على اللبيب ان يلحظها في الكلام البليغ ولا يفوته ان يودعها كلامه في المقامات اللائقة بها

واما مع الاعلام فالغرض من الوصف الايضاح او رفع الاشتراك نحو « وقال ابراهيم الخليل » او التفصيل بياناً للواقع كجاء زيد راكباً مثلاً والاَّ فلمدح المسند اليه او ذمه او تعظيمه او تحقيره او للترغيب فيه او للتنفير منه وبلاغة المتكلم انما تكون في اختيار الوصف المناسب لاحد هذه الاغراض المارَّة وهذا من اسرار البلاغة الموقوفة على حسن الذوق وذكاء الطبع لا على التعليم والتلقين

## ﴿ توكيد المسند اليه ﴾

يؤكد المسند اليه اما بتكرار لفظه والغرض من ذلك التقرير او رفع توهم

المجاز واما بواسطة النفس والعين وكل وكلا وكلتا وجميع وما في معناها والغرض من ذلك رفع توهم المجاز مع النفس والعين ورفع توهم عدم ارادة الشمول مع ما سواها وكل ذلك مبسوط في كتب النحاة الا ان العلامة ابن الاثير (في كتابه المثل السائر طبعة بولاق صفحة ٢٦٣) عقد باباً في توكيد الضميرين نورد منه بحرفه ما لا مجال فيه للاعتراض عليه قال :

« ان قيل في هذا الموضع ان الضمائر مذكورة في كتب النحاة فاي حاجة الى ذكرها ههنا ولم نعلم ان النحاة لا يذكرون ماذكرته (قلت) ان هذا يختص بفصاحةٍ وبلاغةٍ واولئك لا يتعرضون اليه وانما يذكرون عدد الضمائر وان المنفصل منها كذا والمتصل كذا ولا يتجاوزون ذلك واما انا فاني اوردت في هذا النوع امراً خارجاً عن الامر النحوي واعني بقول توكيد الضميرين ان يوكد المتصل بالمنفصل كقولك « انك انت » او يوكد المنفصل بمنفصل مثله كقولك « انت انت » او يوكد المتصل بمتصل مثله كقولك « انك انك لعالم انك انك لجواد » وانما يؤتى بمثل هذه الاقوال في معرض المبالغة وهو من اسرار علم البيان (ولنقدم في ذلك قولاً يحصره ويجمع اطرافه فنقول) اذا كان المعنى المقصود معلوماً ثابتاً في النفوس فانت بالخيار في توكيد احد الضميرين فيه بالاخر واذا كان غير معلوم وهو مما يشك فيه فالأولى حينئذ ان يوكد احد الضميرين بالآخر في الدلالة عليه لتقريره وتثبيته (فما جاء من ذلك) قوله تعالى « قالوا ياموسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين » فان ارادة السحرة الالقاء قبل موسى لم تكن معلومة عنده لانهم لم يصرحوا بما في انفسهم من ذلك لكنهم لما عدلوا عن مقابلة خطابهم

موسى بمثله الى توكيد ما هو لهم باضميرين اللذين هما ( نكون ونحن ) دلَّ ذلك على انهم يريدون التقدم عليه والالقاء قبله لان من شان مقابلة خطابهم موسى بمثله ان كانوا قالوا « اما ان تلقي واما ان نلقي » لتكون الجملتان متقابلتين فحيث قالوا عن انفسهم « واما ان نكون نحن الملقين » استدل بهذا القول على رغبتهم في الالقاء قبله ( — ) واما توكيد المتصل بالمنفصل فنحو قوله تعالى « فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى » فتوكيد الضميرين ههنا في قوله تعالى انك انت الاعلى انفى للخوف من قلب موسى واثبت في نفسه للغلبة والقهر ولو قال « لا تخف انك الاعلى او فانت الاعلى » لم يكن له من التقرير والاثبات لنفي الخوف ما لقوله انك انت الاعلى ( في هذه الكلمات الثلاث ) وهي قوله انك انت الاعلى ست فوائد ( ذكرها هذا العلامة فراجعها في محلها ثم قال بعد ان فرغ من تعدادها )

« وربما وقع لبعض الاغمار ان يعترض على ما ذكرناه في توكيد احد الضميرين بالاخر فيقول لوكان توكيدهما ابلغ من الاقتصار على احدهما لورد ذلك عند ذكر الله تعالى نفسه حيث هو اولى بما هو ابلغ واوكد من القول . وقد رأينا في القرآن الكريم مواضع تختص بذكر الله تعالى وقد ورد فيها احد الضميرين دون الاخر كقوله عزَّ اسمه « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير » ولم يقل انك انت على كل شيء قدير فما الواجب لذلك ان كان توكيد احد الضميرين بالاخر ابلغ من الاقتصار

على احدهما ( الجواب عن ذلك ) انا نقول قد قدمنا القول في اوّل هذا النوع انه اذا كان المعنى المقصود معلوماً ثابتاً فصاحب الكلام مخيّرٌ في توكيد احد الضميرين بالآخر فان اكد فقد اتى بفضل بيان وان لم يوكد فلان ذلك المعنى ثابت لا يفتقر في تقريره الى زيادة تاكيد كهذه الآية المشار اليها وهي قوله تعالى اللهم مالك الملك فان العلم بان الله على كل شيء قدير لا يفتقر الى تاكيد يقرّره وقد ورد ما يجري مجرى هذه الآية موكداً كقوله تعالى « واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب » فوكد في هذه الآية ولم يوكد في الآية الاخرى وقد عرفتك الطريق في ذلك واما اذا كان المعنى المقصود غير معلوم وهو مما يشك فيه فالاولى ان يوكد بالضميرين في الدلالة عليه كقوله تعالى « قلنا لا تخف انك انت الاعلى » فان موسى لم يكن متيقناً انه غالب للسحرة فلذلك وكد خطابه بالضميرين ليكون ابلغ في تقرير ذلك في نفسه » ( انتهى ما نلقاه عن هذا العلاّمة بحرفه )

واما توكيد المنفصل بمنفصل فقد اشتبه فيه على هذا العلامة كما يؤخذ من امثلته فانها ليست من باب التوكيد على ماهو ظاهر من اعرابها انما هي من الاخبار عن المبتدا المعرفة بلفظه فانه استشهد بابي تمام حيث يقول

لا أنت أنت ولا الديار ديار  خفّ الهوى وتولت الاوطار

وبابي الطيب حيث يقول

فبيل أنت وأنت منهم وجدّك بشر الملك الهمام

وبما جاء في كتاب الاغاني لابي الفرج في خبر عمرو بن ربيعة وزياد بن الهبولة وما كان من قول الثاني للاول « لو صرعتم يابني شيبان الرجال كما تصرعون الابل لكنتم انتم انتم » والامثلة جميعها هي من باب المبتدا والخبر لا من باب التوكيد كما ترى . والذي يظهر لي ان توكيد المنفصل بمثله يكثر في الخطب والمشافهات ويقل جدًّا في الكتب والمراسلات وذلك لان الصوت ينبه النفس ويوصل اليها من انفعالات المتكلم ما لا يتنبه له بمجرد رؤية صورة اللفظ فالواعظ او الخطيب في القوم مثلاً يتاتي له ان يقول « انتم انتم الذين اقدمتم الى زخرف الدنيا » او ان يقول « انتم انتم الذي بدأتم بهذا العمل المجيد وانتم اتم اولى باتمامه من جميع الناس » فيؤدي بغنّة صوته عند لفظ الضمير في المثال الاوّل من الاستكراه ومواجهتهم بالانكار ما لا تتفطن النفس لمثله برؤية صورة الضمير مكرّرًا وفي المثال الثاني من الاستحسان ومواجهتهم بالاعتراف بحسن الصنع ما لا يعرف مقداره الاَّ من سمع كلام الخطيب ورؤية وجهه . وكذلك فيما لو قال « نحن نحن المصريين شدنا في غابر الايام مالم يشده غيرنا من الامم » او « هم هم ( اعني اسلافنا ) مصّروا الامصار واختطوا المدن وسنوا الشرائع والاحكام »

واما الاخبار عن المبتدا المعين بلفظه على ما رأيت في الامثلة التي ذكرها العلامة ابن الاثير وكقولك « زيد زيد » « ووادي ووادي » فيعتبر فيه ثلاثة اعتبارات لا تتهيأ في الاخبار بغيره مع البلاغة المرادة في الكلام

( ١ ) البقاء والاستمرار على الحالة التي كان عليها كقول الكتاب

« يسوع المسيح هو هو امس واليوم والى الابد » أي يسوع المسيح باق لا يتغير الخ الا ان الاخبار بقولنا ( هو هو ) فيه من المبالغة والايجاز ما يشهد لنفسه

( ٢ ) ان المبتدا متصف بصفة بالغة مبالغها بحيث لا تماثل بغيرها ولا يليق الاخبار عنها الا بها كقوله « لو صرعتم يا بني شيبان الرجال كما تصرعون الابل لكنتم انتم انتم » اي لكانت شجاعتكم او شدتكم بالمكان الذي لا يعرف الا بكم

( ٣ ) مجموع الاعتبار الاول والثاني كقول الامام ابن الفارض رحمه الله

فغرامي القديم فيكم غرامي ووادي كما عهدتم ودادي

أي ان كلاً من غرامي ووادي باقٍ لا يتغير وهو ايضاً بالمكان الذي لا يشبه بغيره ولا يرى الاخبار عنه الا بنفسه والله اعلم

## ﴿ تقييد المسند اليه بعطف البيان او البدل او العطف ﴾

جاء في عقد الجمان للمرحوم العلامة الشيخ ناصيف اليازجي في فصل اتباع المسند اليه وفصله ما نصه « واما بيانه فلايضاحه باسم مختص به نحو « قدم صاحبك عثمان » واما الابدال منه فلزيادة التقرير نحو « جاء اخوك زيد » في بدل الكل و « سقط البيت جانبه » في بدل البعض و « راعني الفارس رمحه » في بدل الاشتمال واما بدل الغلط فلا يقع في كلام البلغاء . واما العطف عليه فلتفصيله مع اختصار نحو « جاء زيد وعمرو » او لتفصيل المسند كذلك نحو « جاء زيد ثم عمرو » فان في الاوّل تفصلاً للمسند اليه

بكونه متعدداً وفي الثاني تفصيلاً للمسند بكونه واقعاً على الترتيب اولرد السامع الى الصواب نحو « اتى زيد لا عمرٌو » اوصرف الحكم عن المحكوم عليه الى آخر نحو « جاء زيد بل عمرو » اوالشك اوالتشكيك نحو « حضر زيد اوعمرو » ( وقال ايضاً ) واما فصله بالعماد فلتخصيصه بالمسند منفرداً به نحو « اولئك هم المفلحون » اوالتوكيد الحكم نحو « ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله » انتهى بحرفه

والذي ذكره هذا العلامة انما هو خلاصة ما ذكره اصحاب هذا الفن في كتبهم المعروفة والمتداولة بين الايدي الا اني اقول ان على الكاتب مراجعة ما لحروف العطف من المعاني وما انفرد به كل منها عن غيره في شرح ارجوزته ( نار القرى ) اوفي المصنفات التي من طبقتها فان معرفة ذلك لا بد منها للكاتب ليحسن استعمال هذه الحروف في مواقعها اللائقة بها وهو اذا عرف معانيها فقد يهتدي الى كثير من الاغراض البيانية المرادة من العطف بها

واعلم ان التقييد بعطف البيان والبدل قد يؤدى به اغراض اخرى غير ماذكر فانظر الى بيت المتنبي حيث يقول

يفدّي أتمّ الطير عمرًا سلاحهُ نسور الفلا أحداثها والقشاعم

ترَ صحة ما ذكرنا فان نسور الفلا عطف بيان على اتم الطير عمرًا وهو من قبيل الايضاح بعد الابهام وقد تم له غرض آخر غير ارادة الايضاح بعد الابهام وهو وصف النسور بانها اطول الطير عمرًا على اخصر طريقة واوقعها في النفس ولو عدل عنه الى صريح الوصف فقال يفدّي « سلاحه النسور

التي هي اتمُّ الطير عمراً لنقص من حسن الكلام ورونقهِ ما يدرك ببديهة الذوق · وقد ابدل ايضاً احداثها والقشاعم من نسور القلا فتهيأ لهُ بذلك الدلالة على الشمول وتهيأ لهُ مع هذا غرض آخر بمكان من الدقة والحسن وهو ان الاحداث والمتقدمات في السن تساوت في تفدية سلاحهِ وذلك لان احسانهُ اليها كان من الشهرة والوضوح بحيث ادركته صغارها وكبارها معاً · ومثل قول المتنبي قول ابي العلا

الا في سبيل المجد ما انا فاعل عفافٌ وأقدامٌ وحزمٌ ونائلُ

فانهُ اوضح بعد الابهام وعليهِ القول المتعارف « اثنان لا يشبعان طالب علم وطالب مال »

واعلم ان اكثر اغراض اتباع المسند اليه لا تختص بهِ وحدهُ بل تجري في غيرهِ من الكلام ايضاً كالمفعول بهِ والمضاف اليهِ والمجرور واليك قولهُ

ديوان من حاز الرشاقة في الكلام ابي نواس

فان « ابي نواس » بيان للموصول او بدل منهُ وفيهِ الايضاح بعد الابهام كما لا يخفى

## ﴿ فصل المسند اليه ﴾

والمراد بذلك ان يتوسط بينه و بين الخبر ضمير الفصل على ما تراه مبسوطاً في شرح ارجوزة المرحوم العلامة الشيخ ناصيف اليازجي ( ضمير الفصل وكاف الخطاب ) وخلاصة هذا الفصل ان اصل استعمال هذا الضمير انما كان للتفرقة من اول الامر بين الخبر والتابع الا انهم توسعوا فيه حيث لا يقع الالتباس المذكور . وشرط استعمال هذا الضمير اذا كان للفصل ان يقع بين المعرفتين كقولك « زيدٌ هو الكريم » و « كانت بابل هي المدينة الاولى » او ماهو شبيه بالمعرفتين كقولك « ليس احد هو احسن من زيد » فاذا أُريد بهِ التخصيص او التوكيد لا الفصل نحو « ولكن كانوا هم الظالمون » ونحو « انك انت علاَّم الغيوب » و « اخي هرون هو افصح مني لساناً » لم يحتج الى شرط التعريف المار ذكره وقد يحتمل في هذا الضمير احياناً اجتماع الاغراض الثلاثة نحو « واولئك هم المفلحون » فانهُ يحتمل الفصل والتخصيص والتاكيد . وهو بجملتهِ لا يقع الاَّ بين المبتدا والخبر في الحال او في الاصل والخبر بعدهُ يكون غالباً مصحوب ( ال ) او ( افعل التفضيل ) والمهم في البلاغة الاتيان بهذا الضمير عند الحاجة اليه سواء كان الغرض بهِ الفصل او التخصيص او التاكيد فلا يشتبه عليك مواقع استعمالهِ فان الاتيان بهِ حيث لا داعٍ اليهِ من المخلاَّت بمقتضى البلاغة فراجعهُ في بابهِ الذي ذكرناه واعتبر مع ما تراهُ هناك ما نقلناهُ من كلام العلاَّمة ابن الاثير في باب التوكيد بالضميرين

# باب القصر

## في تحديده

القصر تخصيص شيءٍ بآخر كقولك « وكان الجمع ما يزيد عن الخمسين رجلاً فما تكلم احدٌ منهم الاَّ زيدٌ » اي اختص الكلام بزيد فلم يتجاوزهُ الى غيره من الخمسين وكقولك « لا اله الاَّ الله » اي ان الالهية مختصة بالله تعالى لا تتجاوزهُ الى غيرهِ اصالة وكذلك قولك « ما خاطب الامير احداً من الجمع الاَّ زيداً » اي اختصت مخاطبة الامير بزيد لم تتجاوزهُ الى غيرهِ من ذلك الجمع والمقصور في الجملة الاولى ( التكلم ) والمقصور عليهِ ( زيد ) وكذلك في الثانية فانَّ ( الالهية ) المقصور ( والله ) المقصور عليهِ وهكذا في الثالثة فان المقصور ( مخاطبة الامير ) والمقصور عليهِ ( زيدٌ )

## في انواع القصر

القصر نوعان حقيقيٌّ وهو ما يتجاوز فيه المقصور الى غير المقصور عليه اصلاً كقولك « لا اله الا الله » فان الالوهية وهي المقصور لا تتجاوز اصلاً الى غير الله تعالى وهو المقصور عليه وبعبارة اخرى انه لا يتصف بها احد سواه

ويلتحق بالقصر الحقيقي القصر على سبيل المبالغة كقول الشاعر

لا سيف الاَّ ذو الفقار ولا فتىً الاَّ علي

والمعنى ان ذا الفقار بالغ صفة تراد بالسيف الى حدٍّ لا يشاركه فيه غيرهُ من السيوف وكذلك الفتوة في عليٍّ فانها باللغة الى حد لا يشاركه فيهِ احدٌ من الفتيان وبناءً على هذا الاعتبار قصرنا اسم السيف على ذي الفقار واسم الفتى على عليٍّ مبالغة كانه لا يجوز ان يسمى سيفاً الا هذا ولا فتى الا ذاك والفرق بين هذا القصر والقصر الحقيقي واضح ويزداد وضوحاً في قولك « لا شاعرٌ الا زيدٌ » وفي قول المتنبي

ليس الاَّ ابا العشائر خلقٌ ساد هذا الانام باستحقاق

فاننا اذا اعتبرنا القصر حقيقياً في المثال الاول كان المعنى ان صفة الشاعرية لا توجد في غير زيدٍ اصلاً بخلاف اذا اعتبرناه على سبيل المبالغة فان المعنى حينئذٍ ينصرف الى اننا مبالغة لكمال هذه الصفة في زيد اعتبرناها كانها لا توجد في غيره فقصرناها عليهِ واما قول المتنبي فالمبالغة ظاهرة فيه ولو اراد الحقيقة لعتب عليه ممدوحه سيف الدولة وغيره من بقية الممدوحين

والنوع الثاني اضافيٌّ وهو ما لا يتجاوز فيه المقصور الى معين غير المقصور عليهِ وإن كان يمكن ان يتجاوزهُ الى غير ذلك المعين ولنضرب لك مثلاً نبين فيهِ معنى هذا الحد فنقول · اذا دار بينك وبين غيرك كلام في الشعراء فزعم غيرك ان زيداً وعمراً كلاهما شاعر وزعمت انت ان احدهما شاعر دون الآخر واردت افراده فانك تقول حينئذٍ « ما شاعرٌ الاَّ زيدٌ » اي ان الشاعرية لا تتجاوز زيداً الى عمروٍ وان امكن ان تتجاوزهُ الى غيرهِ ممن لم يدخل في مدار الكلام بينكما فهذا هو القصر الاضافي ومرجعهُ منظور فيهِ الى اعتقادك واعتقاد المخاطب لا على الاطلاق وهو

من هذه الحيثية يقسم الى ثلاثة اقسام يعرف كلٌّ منها باسم مختص بهِ عند البيانيين فاحدها ( قصر افراد ) وهو ما ذكرناه والثاني ( قصر تعيين ) كما اذا كان المخاطب يردّدُ الشاعرية بين زيد وعمروٍ لا يدري ايهما متصف بها فقلت لهُ ما شاعرٌ الاَّ زيد والثالث ( قصر قلب ) كما اذا كان يعتقد ان الشاعر عمروٌ وتعلم انت ان الشاعر زيد لا عمرو فقلت ( ما شاعر الاَّ زيدٌ )

## ﴿ انواع المقصور ﴾

المقصور نوعان اما صفة على موصوف كقولك « لا الهَ الاَّ الله » في القصر الحقيقي او « ما شاعرٌ الاَّ زيد » في القصر الاضافي على انواعه الثلاثة واما موصوف على صفة وهذا لا يكون الاَّ على سبيل المبالغة او الاضافة كقولك « ما زيد الاَّ شاعر » فانَّ القصر على سبيل الحقيقة متعذّرٌ لانَّ مدلولهُ أنَّ زيداً لا يتصف الا بصفة الشاعرية وهذا خلاف الواقع فلتصحيح الاسناد لا بد من اعتبار القصر انه على سبيل المبالغة او انه قصر اضافي على نوعٍ من انواعهِ الثلاثة وفي ما ذكرناهُ كفاية

## طرق القصر وادواته

للقصر ثلاث طرق (الاولى) ما دلت عليه بالوضع وادواتها النفي والاستثناء نحو «لا اله الا الله» وكقولك «ما شاعر الا زيد او ما زيد الا شاعر» سواء كان القصر على سبيل الحقيقة او المبالغة او على سبيل الاضافة والمقصور عليه في هذه الطريقة يقع دائمًا بعد (الا) ومثل النفي والا (إنما) فانها تقوم مقامهما في قصر الموصوف على الصفة او الصفة على الموصوف في جميع انواع القصر الا ان بينهما فرقين في الاستعمال احدهما ان المقصور عليه بانما متأخر دائمًا عن المقصور كقولك «انما شاعر زيد» و«انما زيد شاعر» فالمتأخر منهما هو المقصور عليه وثانيهما انه يصح العطف بلا بعد (انما) ولا يجوز ذلك بعد (النفي والا) اصلاً كقولك «انما جاء زيد لا عمرو» و«انما كاتب زيد لا شاعر» و«انما جاء زيد راكبًا لا ماشيا» او «انما جاء راكبًا زيد لا عمرو» هذا في القصر الاضافي و«انما زيد كاتب لا غير» و«انما كاتب زيد لا غيره» في المبالغة و«انما الله اله لا غيره» في القصر الحقيقي

(الثانية) ما دلت عليه بالمنطوق او بصريح اللفظ وادواتها (لا) في الايجاب و (بل) في النفي كقولك «فقيه زيد لا شاعر وناقل لا مبتكر» و«قام زيد لا عمرو» و«رأيت زيدًا لا بكرًا» و«ليس زيد طبيبًا بل فيلسوف» و«ما شاعر بكر بل فقيه» وهذه الطريقة خاصة بالقصر الاضافي كما ترى بخلاف الاولى فانها تتناول جميع انواع القصر

( الثالثة ) ما دلت عليهِ بالمفهوم وليس لها ادوات لفظية انما تقوم بتقديم ما حقه التأخير كقولك « في الدار زيدٌ » و«لزيارة اخيه جاءَ زيدٌ» و« راكباً جاءَ زيد » ونحو ذلك من الامثلة · على ان هذه الدلالة على القصر ليست وجوبية كدلالة صاحبتيها عليه ولا بد معها من انتفاء المعارض فانه مع وجوده لا تفيد القصر اصلاً وكذلك اذا دلت قرينة على ما ينافي القصر فانه لا يبقى للتقديم دلالة عليه كقولك مثلاً « يابنيَّ اوصيك بهذا جارك لا تشاتمه ورئيسك لا تقاومه واقوى منك لا تخاصمه » فانه ليس في هذا التقديم ما يدل علي القصر ولو دل عليه لكان مفهوم الجمل ما ياتي او نحوه « جارك لا تشاتمه بل شاتم غيره و رئيسك لا تقاومه بل قاوم غيره واقوى منك لا تخاصمه بل خاصم غيره »وفساد هذا المفهوم اظهر من ان يوضَّح وذلك لان العقل والشرع والعادة جميع هذه تحظر على الموصى ان يشاتم غير جاره او أن يقاوم غير رئيسه او ان يخاصم كفؤَه او من هو اضعف منه · نعم في هذا التقديم ما يدل على الاختصاص وهو ايقاع الحكم على متعلقه ( اي الاختصاص ) لاهميته معهُ بقطع النظر عن غيره او القصد افراده بخصوصية لا تكون لذلك الغير في شيءٍ مشترك بينهما وعليه فمفهوم هذه الجمل مع الاختصاص يقارب قولنا « اوصيك بترك مشاتمة جارك خصوصاً وكذلك مقاومة رئيسك ومخاصمة من هو اقوى منك لما فيه من الاهمية لك » او « اوصيك بترك مشاتمة جارك وان مع الاسباب التي تحملك على المشاتمة مع غيره وكذلك مقاومة رئيسك ومخاصمة من هو اقوى منك »

وقد عدوا من طرق القصر تعريف المسند والمسند اليه معاً كقولك « زيد الكريم وانت الامير » وعدوا ايضاً توسط ضمير الفصل نحو « فالله هو الوليُّ » ونحو « اصحاب الجنة هم الفائزون » وكذلك تقدم المسند اليه النكرة كقولك « رجل جاءني » وفي هذه كفاية للمتدبر فانه لايصعب عليه ان يقيس مالم نذكره بما ذكرناه

( تنبيه ) قرأت للامام السبكي رحمه الله كلاماً في الفرق بين الحصر والاختصاص فليراجع في كتاب الاتقان في علوم القرآن طبع المطبعة الكستلية بمصر سنة ١٢٧٩ الجزء الثاني وجه ٦٣ — ٦٥ )